

د. غريب محمد علي أحمد
أستاذ الأدب العربي المساعد
كلية الآداب - بقمنا

شعر
أبي بكر الصديق رضي الله عنه
"دراسة نصية"

تقديم:

لم يعرف دارسو أدب صدر الإسلام لأبي بكر إلا أشعارا قليلة متناثرة في بطون المصادر حتى ظهر ديوانه الذي حققه أ.راجي الأسمر منذ فترة جد قريبة، وبظهور هذا الديوان ينهض أبو بكر شاعرا بين شعراء صدر الإسلام. وحينما حصلت على نسخة مطبوعة من الديوان راودتني مباشرة فكرة القيام ببحث فيه، فقرأته أكثر من مرة، وقارنت بينه وبين دواوين الشعراء الثلاثة المعروفين في تلك الفترة: حسان بن ثابت، وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة. ووجدتني عازما على ذلك لأسباب كثيرة أهمها أن وجود ديوان لأبي بكر يعد - في حد ذاته - إضافة جديدة لشعر صدر الإسلام ، ودليلا قاطعا على أن الإسلام لم يحارب الشعر ولم يعاد الشعراء بل عدل مسار الشعر وجعله متساوقا مع جوهر الدين، ودليلا مؤكدا على أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يعترض على أبي بكر ، وهذا موقف يضاف إلى مواقف النبي من الشعر. وتلك قيمة عظيمة لديوان أبي بكر ، وثمة قيمة أخرى وهي أن أبا بكر يتفوق - كما وكيفا - على فارسين من فرسان حلبة الشعر آنذاك وهما عبد الله بن رواحة وكعب بن مالك ، ولا يسبقه إلا حسان بن ثابت. وهناك قيمة ثالثة لهذا الديوان: إذ يعد وثيقة تاريخية مهمة من وثائق العصر الإسلامي ودليلا على ذلك استشهاد المؤرخين مثل ابن هشام وابن سعد بشيء من شعر أبي بكر عند سرد بعض الأحداث التاريخية. ويمكن أن نضيف إلى ذلك قيمة رابعة وهي قيمة لغوية فلقد استشهد بعض اللغويين مثل الزبيدي وابن منظور بشيء من شعر أبي بكر أيضا.

ولنا أن نسجل هنا أننا لا نجد شاعراً قرشياً وقف إلى جانب شُعراء صدر الإسلام من أهل المدينة يناهض الأعداء ويصف المعارك ويجتهد مشعره للدعوة الإسلامية غير أبي بكر.

ويلحظ على شعر أبي بكر من الناحية التاريخية أنه يبدأ بحادثة الإسراء وينتهي بوفاة الرسول ﷺ ، وكأنما قد فجرت حادثة الإسراء ينبوع الشعر عند أبي بكر وفتحت أكامه، ولعله كان متحراً جاهلاً ذلك من قول للشعر، وأما أنه لم ينظم بعد وفاة الرسول فله رأي أن لا قيمة لشعر يقال بعد وفاة النبي ﷺ أو لعله شغل بالخلافة والحروب فيما بعد.

وقد جاءت هذه الدراسة النصية كاشفة عن الفن الشعري لأبي بكر محللة الأغراض الشعرية التي تناولها، وقد قسمتها إلى أغراض قديمة، موأشغراض جديدة، وانتقلت الدراسة بعد ذلك إلى الجانب النثري فتوقفت عند اللغة والأسلوب والصورة والخيال والعاطفة والموسيقا والبناء الفني وقدمت لذلك بوصف للديوان وختمت البحث بخاتمة تشير إلى أهم نتائجه.

- وبعد فهذه محاولة لاستجلاء شعر أبي بكر وإبراز مكنننه الأديبية ولعل ذلك يكون إضافة جديدة إلى الدراسات التي تهتم بأدب صدر الإسلام.

الديوان:

عثر الأستاذ راجي الأسمر على مخطوطة لديوان سيدنا أبي بكر رضي الله عنه في المكتبة الظاهرية بدمشق ضمن مجموع مخطوط يتضمن عددا من الرسائل ذات الموضوعات المختلفة^(١)، فقدمه لنا محققا، مشروحا، مع التوثيق والتخريج، وأضاف إليه ما وجده منسوبا إلى أبي بكر من أشعار في المظان المختلفة فجاءت جملة الديوان أربعمئة وخمسة وعشرين بيتا، وهو كم من الشعر لا يستهان به في عصر صدر الإسلام، خاصة إذا عرفنا أن كعب بن مالك وهو واحد من الشعراء الثلاثة الذين أوقفوا شعرهم على الإسلام ونبيه الكريم ﷺ لا يتجاوز شعره خمسمئة وأربعة وثمانين بيتا، وأن عبد الله بن رواحة وهو واحد من فرسان حلبة الشعر آنذاك لا يزيد شعره عن مائتين وأربعة عشر بيتا مع ملاحظة أن بعض أشعارهما قد اختلط ببعض، كما اختلط أيضا ببعض من أشعار سيدنا حسان بن ثابت^(٢).

- (١) انظر ديوان أبي بكر الصديق/ تحقيق وشرح: راجي الأسمر/ دار صادر بيروت ط ١ ص ١٩٩٧ يقول أ. راجي الأسمر إنه عثر على مخطوطة لديوان أبي بكر بالمكتبة الظاهرية بدمشق بالرقم ٣٦٢٤ وهي الآن ضمن مصنف فيلمي رقمه ١٦٢٥٤/الديوان ص ٨.
- ويشير إلى عدد أوراق المخطوطة وهي عشر، وفي كل صفحة ثمانية عشر سطرا / ص ٩.
- (٢) انظر: ديوان حسان بن ثابت / تحقيق د. سيد حنفي حسنين ، ط دار المعارف سنة ١٩٨٣.
- ديوان كعب بن مالك الأنصاري/ تحقيق وشرح: مجيد طراد / دار صادر بدون سنة ١٩٩٧.
- ديوان عبد الله بن رواحة / دراسة في سيرته وشعره، د. وليد قصاب، ط ٢، دار الضيفاء الأردن، سنة ١٩٨٨.

- ومما يدل على ذلك الاختلاط قول حسان :
شهدت بإن الله أن محمدا رسول الذي فوق السموات من عل
ديوان حسان ص ٣٠٥.

من مقطوعة تبلغ خمسة أبيات ،
وهي مروية في ديوان عبد الله بن رواحة برمتها.
انظر ديوان ابن رواحة، ص ١٦٣.

ويلاحظ على ديوان أبي بكر أن بعض شعره قد اختلط بشعر غيره ولكن بنسبة ضئيلة فالأبيات التي نسبت له ولغيره لا تتعدى ثلاثة وعشرين بيتاً وهي تمثل ٥,٦% من مجموع الديوان^(١).

ويلاحظ أيضاً أن شعره كله إسلامي فالديوان الذي بين أيدينا ليس فيه شعر يمثل الفترة التي عاشها أبو بكر قبل الإسلام، وإن طبع أحياناً ببعض الطوابع القديسة التي عرف بها الشعر للجاهلي.

ومن ذلك أيضاً قول حسان يقيب هبيرة بن أبي وهب:

سَقَمَ كَفَّةَ جَهْلٍ مَنْ عَادَتِكُمْ إِلَى الرَّسُولِ فَجُنِدَ اللهُ مَخْرِبَهَا
لُورِدْتُمَا حِيَاضَ الْمَوْتِ ضَامِحَةً فَالْتَمَسُوا مَوَدَّةً وَالْقَبْلَ لِأَهْلِهَا

ديوان حسان ص ٢٠٥

- وهو منسوب إلى كعب بن مالك مع اختلاف بسيط في بعض الكلمات. انظر ديوان كعب بن مالك ص ١١٢.

(١) ومن الأبيات المنسوبة إلى أبي بكر وهي في الوقت نفسه منسوبة إلى عبد الله بن رواحة قوله: وذلك عندما أصاب يده حجر في غار ثور يوم الهجرة:

إِن أَنْتَ إِلَّا أَصْبَعٌ دَمِيئَةٌ وَفِي سَبِيلِ اللهِ مَا أَقْرَبَتْ

ديوان أبي بكر ص ٨٥.

وأما عبد الله بن رواحة فيقول في يوم موته

هَلْ أَنْتَ إِلَّا أَصْبَعٌ دَمِيئَةٌ وَفِي سَبِيلِ اللهِ مَا أَقْرَبَتْ

ديوان عبد الله بن رواحة ص ١٥٤.

- وما نسب إليه رضي الله عنه ونسب إلى عبد الله بن جحش مقطوعه مطلقاً:

تَمَدُّتْ قَتْلًا فِي الْحَرَامِ عَظِيمَةً وَأَعْظَمَ مِنْهُ لَوْ يَرَى الرَّشِدُ رَاشِدًا

انظر ديوان أبي بكر ص ٢٦

وانظر: السيرة النبوية، ابن هشام/ تحقيق مصطفى السقا وآخرين/ القسم الأول ج ٢ ص ٦٠٥، ط
ثالثة- مصطفى البابی الحلبي سنة ١٩٥٥.

ويذهب شعره رضى الله عنه فى الأغراض التى نظم فيها شعراء الإسلام عامة
أذالك، وهذا ما يدعو الباحث إلى الحديث عن تلك الأغراض فيما يسمى
بالدراسة الموضوعية، وهناك الدراسة النقدية التى لا بد منها فى هذا البحث حتى
تكتمل جوانبه.

أولاً: الدراسة الموضوعية:

نظم أبو بكر فى موضوعات وأغراض شعرية متعددة، وهى - فى
جملتها - لا تخرج كما ذكرت عن الأغراض التى نظم فيها الشعراء المسلمون،
ولكن يمكن تقسيمها إلى نوعين:

أغراض شعرية قديمة، وأغراض شعرية جديدة، وتفضيل ذلك على النحو التالى:

أ- الأغراض الشعرية القديمة

وأقصد بها الأغراض التى نظم فيها الشاعر العربى منذ العصر الجاهلى
ولكن أبا بكر طعمها بمبادئ الدين بل صبغها بصبغة إسلامية واضحة، وأبرز
هذه الأغراض ما يأتى:-

١- المدح:

يمثل فن المدح فى شعر أبى بكر نسبة غير قليلة؛ فلقد أوقف قصائد
ومقطعات برمتها على هذا الفن، وهى فى جملتها - تمثل ربع الديوان، عدا ما
جاء من هذا الفن مختلطاً بغيره من القنون فى قصائد أخرى.

وقد جاءت مدائح أبى بكر كلها منسمة بالصدق والإخلاص وحرارة
العاطفة، بريئة من النفاق، لا يشوبها الرياء، بعيدة عن التكسب والعطاء فهو لم
يمدح لغرض مادى أو ليهوى نفسى أو لتحقيق نفع شخصى وإنما صدر فى
مديحه عن روح صادقة وإيمان يقينى.

وكان النبى صلى الله عليه وسلم أبرز شخصية مدحها أبو بكر وأوقف
عليها جل مدائحه وهذا أمر بدهى فالرسول صلى الله عليه وسلم هو صاحب
الرسالة وحامل لواء الدين وهو الصديق الحميم الذى أحبه أبو بكر حبا جما وهو

النبى الكريم الصادق الأمين الذى جاء لصلاحي الدنيا وخير البشرية، وإنقاذها من الموبقات والنقى والفساد، الأخذ بيدها إلى طريق الحق والخير والرشاد، إنه أكرم مرسل وأصدق مبعوث وهاد، وهو السراج المنير والرحمة المهداة من رب العباد، وتتجلى هذه المعانى فى أكثر من موضع فى شعر أبى بكر ومن ذلك قوله:

دعا للناس النبى إلى رشاد
إلى توحيد خلاق البرايا
فلم ير فيه منا من خلاف
وكفر بالحجارة وللخاف^(١)

وقوله:

بأن رسول الله أحمد صادق
هدانا به الرحمن من فتن الردى
محمد المختار أكرم مرسل
هدانا به الله العلى مكانه
لأرسله الرحمن أكرم ووث
وأقذنا من هويل تلك الهالكين
وأصدق مبعوث أكرم باعث
وأقذنا من موبقات الخائب
فكان سراجا للإله ورحمة
يخلد فى تلك الجنان المواقم^(٢)

وكذلك قوله:

قضى الله أن أوحى إلينا رسوله
فأتقنا من حيرة وضلالة
محمد البر الزكى المطهرا
فقال بدين الله من كان مبصرا^(٣)

وكان طبيعيا أن ينود أبو بكر عن النبى فى مدانحه، وأن يدافع عن الدعوة الإسلامية دفاعا مستميتا وهو المخلص لئما إخلاص لها، وهذا ما يظهر فى قوله:

(١) الديوان، ص ٧٣.

(٢) الديوان، ص ٤٨، ٤٧.

(٣) الديوان، ص ١٨.

وجاهدت في الله أعداءه الـ الذين بهم ربنا يحل^(١)
وهو في خلال هذا المديح لا ينسى أن يذكر مبادئ الدين وأن يشير إلى شيء
من أمور العبادة، وما جاء يدعو إليه رسول الله ﷺ، وذلك كما نقرأ في قوله:
وضدقت أحمد وهو النذى حباناً به المنعم المفضل
فمن الصلاة لنا والزكاة وبرا بذى رحم يوصل
ومن الصيام لنا والقيام مولى إلى الله لا تجهلوا
وحجاً إلى الله في بيته لمن كان ذاك له يسهل
وأمرنا بعرف ونهياً عن الـ مناكر في كل ما يفعل^(٢)

وقد ركز أبو بكر في مديحه للرسول صلى الله عليه وسلم على أمور
أهمها إظهار الدور الذي اضطلع به النبي في تبديل هداية الناس، وتحمله
للمتاعب والمصاعب من أجل الدعوة ونشر الدين.

ومن هذه الأمور أيضاً تلك الصفات التي اتسم بها النبي صلى الله عليه
وسلم وهي في جملتها لا تخرج عن الفضائل الدينية الرفيعة والشمائل الخلقية
الكريمة كالعدل والزمه والورع والتقوى والعفة والرحمة والكرم والشجاعة
والصدق والبر.

لقد أضفى أبو بكر هذه المثاليات الدينية والخلقية على رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهي كلها صفات متأصلة فيه ليست غريبة عنه صلى الله عليه
وسلم، يقول أبو بكر مشيراً إلى شجاعة النبي في معرض حديثه عن يوم حنين:
حين ولى الناس وانخذلوا هرباً واحمرت الحنق
شد كاليث الـ هزير وقد عظم الأشجان والقلق^(٣)

(١) الديوان ، ص ٦٦ .

(٢) الديوان ، ص ٦٥ .

(٣) الديوان / ص ٤٣ / ٤٤ .

ويقول مشيراً إلى عدله صلى الله عليه وسلم:

تقبلت ذلك من علمه وما زال في حكمه يعدل^(١)

ويقول معتبراً عن صدقه عليه السلام:

أتاهم رسول صادق فتكذبوا عليه وقالوا: لست فينا بماكث^(٢)

ورغم تركيزه على هذه الصفات والفضائل فإنه لا ينسى الإشارة إلى الأرومة الأصلية والمختد الشريف للنبي صلى الله عليه وسلم؛ ولذا نراه يقول:

إله عظيم القدر أوحى كتابه إلى مصطفى ذي عفة لم يذنس

كريم المساعي من ذؤابة هاشم تمكن منها في نواص ومعطس

إذا عدت الأنساب أو قسن بالحصا فمغرسه من هاشم خير مغرس^(٣)

وإلى جانب مديح النبي صلى الله عليه وسلم فقد ذهب أبو بكر يمدح

الأنصار ويشتم عليهم وهذا نوع من المديح الجماعي فهو لم يمدح فرداً معيناً

منهم بل مدحهم جميعاً في قصيدة طويلة تبلغ ثمانية وثلاثين بيتاً.

وهو في منيحه لهم يذكر فضلهم ويشكر عملهم الذي قاموا به من أجل

الدعوة، ويشير إلى سرعة استجابتهم للدين ودفاعهم عنه وعن النبي الكريم صلى

الله عليه وسلم، ويقارن بين موقفهم هذا وموقف الكفار المعاندين إذ يقول:

فيسر قوماً للهدى فتقدموا وأهلك بالعصيان قوماً ودمرا

وأزره لبناء قبيلة فابتوا من المجد بنيانا أغر وأشهرنا

وسعاهم الأنصار أنصار دينه وكان عطاء الله أعلى وأكبر^(٤)

(١) الديوان/ ص ٦٦.

(٢) الديوان/ ص ٢٢.

(٣) الديوان/ ص ٥٨.

(٤) الديوان/ ص ٦٨، ٦٩.

ويذكر أن الله عز وجل قد أنثى عليهم في كتابة العزيز، وأبرز فضلهم العظيم، فلقد بذلوا جهد نفوسهم في سبيل الحق فاستحقوا أن يكونوا من سادة الورى وخير البشر إذ يقول:

وأنتى عليهم صالحا فى كتابه فكان الذى أنثى أجمل وأكثرأ
رأى لهم فضلا فأعطاهم المنى وكان بما أعطى أظب وأبصرا^(١)

لقد أوى هؤلاء الأنصار للنبي صلى الله عليه وسلم وآزروه وحموه مما يحمون منه نفوسهم وأهليهم، وتصنوا لأعداء الدين فحموا بذلك بيضة الإسلام، إنهم الأباد الشم، الفرسان الشجعان الذين دافعوا عن النبي وعن الدين دفاعا مستميتا وما استكانوا لحظة، وكانوا ينتدرون عدوهم غير هيبين ولا وجلين حتى أعز الله نبيه وأظير دينه، وتم النصر المبين بأيدى هؤلاء الرجال الذين لا يرام حماهم كما يقول أبو بكر:

وأووا رسول الله إذ حل دارهم بلا ضجر خلقا سجيحا ميسرا
أباة يفوز من تقدم منسيم وسوف ينال الفوز من قد تأخرا
هم ابتدروا فى يوم بدر عدوهم بكل امرئ فى الزوع ليس بأوجرا
إلى أن أعز الله من كان باليدى مقرا وردى الذل من كان أنكرا
بأيدى رجال لا يرام لسيم حمى إذا لبسوا فوق الدروع السنورا^(٢)

ويعضى أبو بكر على هذه الشاكلة مثليا على الأنصار مينا فضلهم، مبرزا دورهم العظيم فى سبيل الدعوة الإسلامية.

ومن الشخصيات التى حظيت بشئ من مديح أبى بكر بلال بن رباح مؤذن النبي وخازنه، وقد جاء هذا المديح فى مقطوعة لا تتجاوز أربعة أبيات

(١) الديوان/ ص ٦٩.

(٢) الديوان/ ص ٧١، ٧٠.

يوضح فيها ما قام به بلال من قتل أمية بن خلف الذي سام بلالا سوء العذاب في مكة.

وهو في هذه المقطوعة يهنئ بلالا بهذا العمل الجليل الذي قام به ويدعو له أن يزيد الرحمن خيرا فلقد أدرك ثأره وشفى غليله من عدو الإسلام، وما كان بلال أبدا نكصا أو جبانا بل ثبت في ذلك الموقف وأبدى شجاعة وبسالة غير هباب ولا وجل إذا ما هاب الرجال أو جبنوا، فلقد كر على عدوه بمشرفى مرهف صقيل، يقول معبرا عن ذلك:

هنيئنا زائدك الرحمن خيرا فقد أدركت ثأرك يا بلال
فلا نكصا وجنت ولا جباننا غداة تتوشك الأسل الطوال
إذا هاب الرجال ثبت حتى تخالط أنت ما هاب الرجال
على مضض الكلوم بمشرفى جلا أطراف متنبه الصقال^(١)

ومهما يكن من أمر فإن أبا بكر لم يقتصر في مدائحه على رسول ﷺ بل امتدت تلك المدائح إلى شخصيات أخرى — كما رأينا — وإن كان قد أوقف جل مدائحه على النبي ﷺ.

هذا شيء يجب أن ينكر ، وشيء آخر يجب أن يسجل وهو أن أبا بكر قد تفوق — كما — في مديحه للرسول ﷺ على كعب بن مالك وعبد الله بن رواحه رغم شهرتهما في ميدان الشعر آنذاك^(٢).

(١) الديوان ، ص ٨٨.

(٢) بالمقارنة بين مدائح أبي بكر في الرسول ﷺ ومدائح هذين الشاعرين في النبي عليه السلام نجد تفوق أبي بكر من حيث الكم إذ لا يتجاوز مديح عبد الله بن رواحة للنبي ثلاثة وعشرين بيتا جاءت مختلطة بغيرها من الأغراض الشعرية ، وكذلك مدائح كعب بن مالك في النبي عليه السلام لم تزد عن خمسة وعشرين بيتا ولم يخص قصيدة برمتها لهذا الفن وأما أبو بكر فقد جاءت لديه قصائد كاملة في مديح النبي ﷺ وذلك مثل القصيدة رقم ١٧ وهي تبلغ ثمانية عشر بيتا (الديوان ، ص ٤٨).

وكذلك القصيدة رقم ٢٣ وهي تبلغ خمسة وثلاثين بيتا (الديوان ص ٦٣) وإن اختلطت بوصف ما أصاب المشركين من خزي وعلر ومصير سيئ نتيجة كفرهم وضلالهم وذلك من خلال خمسة أبيات فقط.

٢- الرثاء :

الرثاء هو فن تأبين للموتى وعنوان الإخلاص والوفاء، وفيه السندب والعزاء وقد احتل هذا الفن المرتبة الثانية في شعر أبي بكر بعد المديح إذ تبلغ أبياته أربعة وستين بيتاً كلها في رثاء النبي ﷺ .

والحق أن أبا بكر في هذا الرثاء يبكي النبي بكاء مراً، فهو يتألم ويتفجع ويعصر الحزن قلبه عصراً، ويجعلنا نشعر معه بالموارة والألم والحزن اللذين والشجن.

إن البكاء على النبي حق يجب أن يؤديه، ومن ثم يطلب من عينيه أن تجود بالدمع ولا تجمد كما يقول:

أعين جودي ولا تسأمي وحق للبكاء على السيد^(١)

ويجب ألا تمل تلك العين من البكاء؛ ففي البكاء شفاء، وفي الزفرات والعبرات دواء، ويجب أن تستمر العين في سفح العبرات غزيرة حتى يقضى الله أمراً كان مفعولاً، وأن تستمر في الندب على خير من خلقه الله في هذه الدنيا كما يقول:

عين جودي فإن ذاك شفائي ولا تمل من زفرة وبكاء

أندى خير من برا الله في الدنيا يا ومن خصه بوحى السماء

بدموع غزيرة منك حتى يقضى الله منك حتم القضاء^(٢)

لقد ملأ الأسى والحزن جوانح أبي بكر وضاق قلبه عليه الأرض والدور بما رحبت، وهى القلب وانكسر العظام حينما رأى النبي محمولا على تلك الآلة الحديداء، يقول معبراً عن ذلك:

(١) الديوان، ص ٣١.

(٢) الديوان، ص ٣٥.

لما رأيت نبينا متحملا ضاقت على بعرضهن الدور
أوهيت قلبي عند ذلك بهلكة والعظم منى ما حبيت كسير (١)

وليس هذا فحسب بل لقد جفا النوم جفونه ولانمته الهموم والأجزان لفقد النبي
الكريم عليه السلام ، وهذا ما يظهر في قوله:

أجسدك بالعينك لا تنيام كأن جفونها فيها كسلام
لأمر مصيبة عظمت وجلت ودمع العين أهونه انسجام (٢)

ويظهر في قوله:

أمتت هموم تقال قد تأوئني مثل الصغور عظام تحت الجسد.
كم لي ببعثك من هم يضربني إذا تذكرت أنى لا أراك أبدا (٣)
من ثم فإنه يتعنى أن لو أدركه الموت قبل وفاة الحبيب ﷺ فهو لا يتصور كيف
يمكن أن تكون حياته في المحافل والمشاهد بدون الرسول ﷺ كما يقول:

كيف الإقامة بعد الحبيب ب بين المحافل والمشهد
فليت المعينات لنا كلنا وكنا جميعا مع المهدى (٤)

وكما يقول:

يا ليتنى من قبل مهلك صاحبي غيببت في جدث ، على صغور (٥)
ويتعنى أن لو قامت القيامة حتى لا يرى مالا ولا ولدا بعد النبي فهو لا
يأسى على شيء بعده ﷺ وهذا ما يشير إليه قوله:

(١) الديوان، ص ٣٢/٣٣.

(٢) الديوان، ص ٢٩.

(٣) الديوان، ص ٣٤.

(٤) الديوان، ص ٣٢.

(٥) الديوان، ص ٣٣.

ليت القيامة قامت عند مهلكه كيلا نرى بعده مالا ولا ولدا
ولست آسى على شيء فجعت به بعد الرسول إذا أمسى ميتا فقد^(١)
ويرى أبو بكر أن الجود قد تولى وانقرض الكرام يوم وفاة النبي عليه
السلام، ولم يعد للحمد سنام، ومن ثم فعلى الدنيا وشاكنها السلام، وأن معالم
الأرض قد صارت موحشة مقفرة أصابتها رعدة وقشعريرة وارتعدت السواد
حزنا على النبي خير من ركب المطايا عليه السلام، يقول:

تولى الجود وانقرض الكرام وأضحى المجد ليس له سنام
فقدتم خير ركب المطايا سقى حنثا تضمنه الغمام
وأوحشت المعالم واقشعرت لفقده وأبسها قمام^(٢).

وليس هذا فحسب بل إن الدين والدنيا جميعا قد يكوا محمدا، وبكى معهما البلد
الحرام، وبكى كل ذى عين حتى لقد بكاه الحمام فى قرامصه كما يقول:

بكاه الدين والدنيا جميعا وبكى فقد للبلد الحرام
بكاه كل ذى عين إلى أن بكاه فى قرامصه الحمام^(٣).

ويؤكد على ذلك قائلا:

نموج ونشكى ما قد لقينا ويشكر فقده البلد الحرام^(٤).

لقد منى المسلمون بأمر يجعل الولدان شيبا، وفجعوا فجيحة لا نظير لها

كما يقول:

منينا من فجيعته بأمر يشيب له الغلامه والغلام^(٥).

(١) الديوان، ص ٣٤

(٢) الديوان/ ص ٨٠.

(٣) الديوان/ ص ٨١.

(٤) الديوان/ ص ٢٩.

(٥) الديوان/ ص ٨١.

وينتقل من تصوير ذلك الحزن والألم والحديث عن تلك المصيبة التي منى بها المسلمون إلى تأيين النبي ﷺ فيذكر بعض صفاته وخلقه مشيراً في خلال ذلك أحياناً إلى نسبه وحسبه حيث يقول:

لقد أغر أبيض هاشمي تمام نبوة وبه الختام
أمين مصطفى للخير يدعو كضوء البدر زائله للظلام^(١).

ويقول:

كان المصطفى من الأتقى قد علموا وفي العفاف فلا تعدل به أحداً^(٢)

ويقول في قصيده أخرى:

ولقد كان بعد ذلك نورا وسراجاً يضيئ في الظلماء
طيب العود والظريفة والمع مدن والخيم خاتم الأنبياء^(٣).

ويشير خلال تأيينه النبي ﷺ إلى بعض أعماله وتأثيره في أمة العرب حيث يقول:

أتانا والأنام على ضلال فجد إلى هداه به الأنعام
وكان الدين متجزماً عراه فأضحى الحق ليس له تجزأ
فشد لنا من الإسلام ركنا وثقلاً لا يكسون له اهتضام^(٤).

ويقارن بين حالة العرب قبل الإسلام وبعده ويذكر أنهم كانوا أمة ضالّة أشبه بالإبل العطاش الهائمة على وجهها لا تعرف لها جهة يصرهم الله

(١) الديوان / ص ٣٠.

(٢) الديوان / ص ٣٥.

(٣) الديوان / ص ٣٦.

(٤) الديوان / ص ٨١.

وهدهم، وأنهم كانوا قبل الإسلام رعاة فصاروا بفضلها أعزة فضلاء وقد طابت حياتهم وعز مقامهم، يقول:

فما زال النبي بنا مقيماً فطيب لنا لعشرته المقام
فبصرنا وأسممنا وكنسنا قبيل كأننا الإبل الـهيام
نرى أن فضلنا الناس جدا وعز بذلك الـهجم الطغام^(١).

لكن الزمن لا يبقى على حال فلقد ساهمهم في النبي وكسب الرهان وساهم فيه سوء الفجيرة والمصاب كما يقول:

فساهمنا الزمان عليه كرها ففازت للزمان به السهام^(٢).

ويصل في نهاية الأمر إلى العزاء معلناً أن الإنسان مهما طال عمره وامتد أجله فلا بد أن يلقى حتفه وأن الموت كأس دائرة لا بد أن يتوقفها كل كائن حي فهو أمر لا مفر منه ويجب الإيمان به والتسليم المطلق بقضاء الله وقدره حيث يقول:

وحم له عن الدنيا انصراف وكل سوف يصرفه الحمام
وما من مهمل في الأرض إلا سيفجأ مهله حتف زوام^(٣).

ويقول:

فلا تبعد فكل كريم قوم سيدركه - ولو كره - الحمام^(٤).

ويعاهد الله - في نهاية ذلك العزاء - على أن يظل وفياً لنبيه مستمسكاً بهديه ما دام حياً، مرسلأ إليه التحية والسلام، داعياً أن يسكنه الله الفردوس الأعلى مع آبائه إبراهيم وإسحاق وإسماعيل، يقول:

سأتبع هديه ما نمت حيا طوال الدهر ما سجع الحمام

(١) الديوان / ص ٨٢.

(٢) الديوان / ص ٨٢.

(٣) الديوان / ص ٨٢.

(٤) الديوان / ص ٣١.

فقد أورتتنا ميراث صدق عليك به التحية والسلام
من الرحمن في أعلى جنان من الفردوس طاب بها المقام
رفيق أبيك إبراهيم فيها فهل في مثل صحبته ندام
وإسحاق وإسماعيل فيها بما صلوة لربهم وصاموا^(١).

ويقول مرة أخرى:

فصلى الإله إله للعبد وأهل البلاد على أحمد^(٢).

٢- التهديد والوعيد:

يجعل بعض النقاد الوعيد والإتذار بابا من أبواب الشعر مثل ابن رشيق
الذي يقول: كان للعقلاء من الشعراء ونور الحزم يتوعدون بالهزاء ويحذرون
من سوء الأحدثوة ولا يعضون القول إلا لضرورة بحسن السكوت معها^(٣).
وقد عرف هذا اللون منذ العصر الجاهلي، واستمر الشعراء في صدر
الإسلام ينظمون فيه، وكان من الطبيعي أن يتطرق إليه أبو بكر فهو واحد من
شعراء ذلك العصر، وهو المسلم الملتزم الذي أوقف حياته على الإسلام
والمسلمين والنبي الكريم ولا يرضيه أبدا أن يرى الأعداء يهاجمون الدين والنبي
ويتوعدون للمسلمين ويقف مكتوف اليدين ومن ثم فقد أطلق تهديداته وإتذاراته
التي كانت أشبه بسهام نافذة مسمومة يريشها إلى صدور الأعداء فإذا بالرعب
ينتابهم والفرع يصيبهم.

ومن هذه التهديدات رسالته التي وجهها إلى عقوب يندرهم فيها بجند
كثيف من المسلمين لا طاقة لهم به، جند تصبحهم في عقر دارهم فتؤدب غواتهم
وتخضع طغياتهم، وفيها يشبه جنود المسلمين الأشاوس بالأسود التي تنقض عليهم

(١) الديوان/ ص ٣١، ٣٠.

(٢) الديوان/ ص ٣٢.

(٣) تجمدة/ ابن رشيق/ ج ٢/ ص ١٦٧/ ط دار الجيل بيروت سنة ١٩٨١.

كالمطر الهاطل أو السيل المنهمر فتدوخ وتذل كل من حاد عن سنن الهدى
وسبل الرشاد بل لا تتركهم حتى يهلكوا كهلاك عاد، أو يؤمنوا برسول الله ﷺ
ويكفوا عن العناد ويدخلوا في دين الإسلام، يقول في هذه الرسالة:

فلئن تقيف لم تعجل توبة وتصدر عن سنن للطريق الجانف
لتصبحن غواتهم في دارهم منا بأر عن ذي زهاء زاحف
فيه الكماء على الجياد كأنهم أسد غدون غداة دجن واكف
حتى تدوخ كل أبلج منهم متجنب سبل الهدى متجانف
أو يهلكوا كهلاك عاد قبلهم بهبوب ريح ذات ساف عاصف
لو يؤمنوا بمحمد ويكبروا ذا العرش ما إن مؤمن كمخالف^(١)

ويؤكد في نهاية الرسالة أن المعاند منهم قاسى القلب هو من يرى الضلالة
مغنا والهداية كخلط سم داخل الجوف، ويذكر أن الله عز وجل سينصر
المسلمين بسبب إيمانهم وطاعتهم رسول الله ﷺ فيقول:

عانى الفؤاد يرى الضلالة مغنا ويرى الهدى كمدوف سم جانف
والله ينصرنا وأحمد وسطنا كاليدر انصف وهو ليس بكاسف^(٢)

لقد كانت التهديدات آنذاك أشبه بحرب إعلامية نفسية تفت في عضد الأعداء
وتزلزل كياناتهم وتقض مضجعهم وتورق نومهم وتسلبهم شجاعتهم فينتابهم
الخوف والرعب من كل مكان.

ومن تلك التهديدات الرسالة التي وجهها إلى قريش في غزوة عبيدة بن
الحرث وهو في بدايتها يطلب منهم العودة عن كفرهم وضلالهم، وإلا فإن هناك
عذابا شديدا من الله ينتظرهم، بالإضافة إلى أن المسلمين سيؤمنون عليهم عبارة
شنعاء، ويقسم أن تلك الغارة ستكون رهبة شعواء تجعلهم يذهلون عن كل شيء،

(١) الديوان/ من ص ٢٠/١٩

(٢) الديوان/ من ٢٠.

بل وتحرم عليهم أطهار النساء وتغادر منهم صرعى كثيرين تعصب الطير
حولهم عصباء، يقول معبرا عن ذلك:
فإن يرجعوا عن كفرهم وعقوقهم
وإن يركبوا طغيانهم وضلالهم
فأولى برب الرقصات عشية
لئن لم يفوقوا عاجلا عن ضلالهم
لتبتكرنهم غارة ذات مصدق
تغادر صرعى تعصب الطير حولهم
فأبلغ بنى سهم لديك رسالة

فما طيبات الحل مثل الخبائث
فليس عذاب الله عنهم بلائث
حراجيح تحدى فى السريح الرثائث
ولست إذا أليت قولاً بحائث
تحرم أطهار النساء الطوامث
ولن يرأف الكفار رأف ابن حارث
وكل كفور يبتغى الشر باحث^(١).

وهكذا تتوالى رسائل التهديد والإنذار والوعيد من أبى بكر إلى الأعداء
فترجف قلوبهم وتصعقهم صعقا، وهو فى هذه الرسائل لا يطلب من أعدائه إلا
الرضوخ لرسول الله ﷺ والإيمان به والدخول فى الإسلام الحنيف ليسلموا
ويأمنوا وتستقيم أحوالهم وتستقر أمورهم وتهدأ نفوسهم.

• الأغراض الشعرية الجديدة:

وأعنى بها الأغراض التى لم ينظم فيها الشاعر العربى من قبل وهى
أغراض لم تظهر إلا فى الإسلام فهى أثر واضح من آثاره وبصمة جليلة من
بصماته، ومن أبرز هذه الأغراض الجديدة فى شعر أبى بكر ما يأتى:

١- شعر المعارك والأحداث الإسلامية:

مكنت المعارك الإسلامية للدعوة ونشر الدين، وكانت من أهم الأسباب
التي أدت إلى ازدهار الشعر فى صدر الإسلام حيث وقف الشعراء يتحدثون فى
قضايا كثيرة عن هذه المعارك فيصفون الاستعداد لها ويتحدثون عما دار فيها
من كرم وفر وقنان ونزال وما برز فيها من شجاعة المقاتلين وبسالة المجاهدين

(١) ديوان/ ص من ٢٢-٢٤.

ويردون على الأعداء ويرثون الشهداء ويصفون السلاح ويتراشقون بالكلمة إلى جانب تراشق المقاتلين بالنبال ويريشون سهام شعرهم إلى صدور أعدائهم كما راح الجنود سهامهم إلى نحور المشركين ويؤدون عن الإسلام والنبي الكريم ويذكرون نتائج المعارك ويتخنون بالانتصارات ويقارنون بين مصير المشركين ومصير المؤمنين.

وقد شارك أبو بكر في هذا المجال فكما كان جنديا شجاعا ومقاتلا عنيدا فقد كان شاعرا لم يفته أن يتحدث عن بعض المعارك الإسلامية والأحداث البارزة آنذاك.

لكن يجب أن نلاحظ منذ البداية أن شعره الذي تحدث فيه عن تلك المعارك كان قليلا وربما كان انشغاله بالحرب كجندى هو الذي أدى إلى ذلك، وربما ضاع كثير من ذلك الشعر الذي تحدث فيه عن هذه المعارك كما ضاع كثير من شعر الغزوات والفتوحات، وربما اختلط بأشعار غيره.

ولعل أبرز معركتين تناولهما أبو بكر في شعره هما بدر وحنين، وربما يكون السر في ذلك أن بدر كانت أول معركة إسلامية كبرى وكانت فتحا مبينا ونصرا عظيما أعز الله به الإسلام والمسلمين، وأما حنين فكانت آخر معركة كبرى خاضها النبي ﷺ وكانت امتحانا من الله للرسول والمؤمنين.

ومن الملاحظ أن المقطوعة التي وصلت إلينا من شعر أبي بكر في بدر مشكوك فيها^(١) ولكن مهما يكن من أمر فإن أبا بكر لم يتناول إلا أمرين فقط مما

(١) المقطوعة الواردة في الديوان ثلاثة أبيات، وقد جاءت هذه الأبيات الثلاثة ضمن قصيدة تبلغ تسعة أبيات في سيرة ابن هشام وهي منسوبة إلى رجل يقال له أبو بكر بن الأسود بن مشعوب الليثي (أنظر سيرة ابن هشام - القسم الثاني/ ج ٢/ ص ٢٦). وقد اكتفيت هنا بما ورد في الديوان، ويلاحظ أن محقق الديوان لم يشر إلى الأبيات الواردة في السيرة وإلى نسبة الأبيات إلى أبي بكر بن الأسود رغم أنه وضعها في المستشرقها متن الديوان.

جرى في هذه المعركة أولهما الإشارة إلى قتلى قريش الذين ألقى بهم في القليب،
وثانيهما تبشير النبي ﷺ للمسلمين بحياة طيبة، يقول أبو بكر:

مأذا بنا القليب، قليب بسحر من الشيزي تزيسن بالمسنام
يحدثنا الرسول بأن سنجها وكيف حياة أصحاء وهيام^(١).

وأما حديثه عن يوم حنين فلم يزد عن خمسة أبيات ولكن رغم ذلك فقد
استطاع أن يصور الموقف تصويرا بارعا إذ يتحدث في البداية عما جرى
للمسلمين من تخاذل وانهازم حين أعجبهم كثرتهم وغرتهم قوتهم، ويشير إلى
ثبات النبي آنذاك وبسالة نفر معه على رأسهم أبو بكر وعمر، وصرخته القوية
المدوية التي جعلت المسلمين يرأبون صدعهم ويلمون شعثهم وينقضون على
عدوهم، وفيها يصور الرسول بالأسد الهصور وقد تجمع المسلمون حوله
يذودون عنه ومعهم سيوف في أكفهم كحمام الموت تصطلق، ويذكر في البيت
الأخير من المقطوعة نتيجة المعركة حيث انهزم النقيون وانتصر المسلمون
بإذن الله تعالى، يقول أبو بكر مصورا ذلك كله:

حين ولئى الناس وانخلوا	هربا واحمرت الحنق
شد كالليث الهزبر وقد	عظم الأسمجان والقلق
لم يخب إذ شد جمعهم	والقنا إذ ذاك تئاتق
وسيوف فى أكفهم	كحمام الموت تصطلق
فتولوا بعدما طمعوا	ويغير الله ما انطلقوا ^(٢) .

ومن الغزوات التي نجد لها صدى في شعر أبي بكر غزوة عبدة بن الحارث
وهي أول قتال حدث في الإسلام، وقد أشرت إليها عند الحديث عن فن التهديد

(١) النبوة/ من ٨٩.

(٢) النبوة/ من ٤٢/٤٤.

والإنذار وقد استغرق هذا التهديد معظم أجزاء القصيدة التي تحدث فيها أبو بكر عن هذه الغزوة.

وأبرز ما في هذه القصيدة -بعد التهديد- الإشارة إلى موقف الكفار من الرسول وعنادهم وإعراضهم عن الدعوة الإسلامية، يقول أبو بكر ذاكرا ذلك:
أرى من لؤى فرقة لا يصددها عن الكفر تكبير ولا بعث باعث
أتاهم رسول صادق فتكذبوا عليه وقالوا: لست فينا بماكث
إذا ما دعوناهم إلى الحق ألبروا عن الحق إibar الكلاب اللواهث^(١)

وقد أجاب عبد الله بن الزبيري على هذه القصيدة منقضا، ولعل هذا أول ما ظهر من فن النقائض في صدر الإسلام^(٢).

وثمة غزوة أخرى نظم فيها أبو بكر مقطوعة تبلغ ستة أبيات، وهي غزوة عبد الله بن جحش الذي أرسله النبي ومعه ثمانية من المهاجرين إلى "تخلة" بين مكة والطائف ليرصد قريشا ويعلم من أخبارها وقد استطاع عبد الله وصحبه أن يقتلوا عمرو بن الحضرمي وهو أول من قتله المسلمون وأن بأسروا عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان وهما أول من أسر المسلمون^(٣). وقد تم ذلك في شهر رجب فقاتل المشركون ابن محمداً قد أحل الشهر الحرام، وقد نزل في هذا الأمر قرآن كريم وهب أبو بكر يرد على هؤلاء الشركين قائلاً:
تعدون قتلا في الحرام عظيمة وأعظم منه لو يرى الرشيد راشد

(١) الديوان / ص ٢٢.

(٢) يقول ابن الزبيري في مطلع نقيضته:

أمن رسم دار قفرت بالشاعث بكيت بعين دمها غير لايت

أنظر ديوان أبي بكر ص ٢٤.

(٣) أنظر بالتفصيل هذه الغزوة (السرية) في سيرة ابن هشام / قسم ١ ج ٢

ص ٦٠١-٦٠٦.

صدودكم عما يقول محمد وكفر به والله ربي شاهد
وأخراجه من مسجد الله أهله لئلا يرى الله في البيت ساجد
سقيننا من ابن الحضرمي رماجننا بنخلة لما أوقد الحرب وأقد
دما، وابن عهد الله عثمان بيننا ينزعه غل من القدر عاردا^(١).

وكما وقف أبو بكر عند بعض الغزوات والسرايا يتحدث عنها فقد وقف
عند بعض الأحداث الإسلامية الكبرى كالإسراء والمعراج والهجرة النبوية
وحدث الإفك متأثرا بها ناظما فيها شيئا من شعره.

وقد جاء حديثه عن الإسراء والمعراج دليلا على قوة إيمانه وحبه
لرسول ﷺ وفي هذه القصيدة التي يذكر فيها حادث الإسراء يتعرض لمديح
النبي ويطلب من الأعداء ألا يهددوا النبي، ويدعوهم إلى قبول الدعوة الإسلامية
ويعلن خوفه عليهم من عذاب شديد ومصير يشبه مصير من مضى من الأمم
الغابرة التي كذبت برسالات السماء، يقول معبرا عن ذلك متأثرا بالقرآن الكريم:

عجبت لما أسرى الإله بعبد من البيت ليلا نحو بيت مقدس
فأمنت إيمانا بربي وبينت لنا كتب من عنده لم تلبس
نرى الوحي فيها مستبينا وخطبة من الوحي تمحو كل أمر معس
إذا عدت الأنساب أو قسن بالحصا فمغرسه من هاشم خير مغرس
فلا توعدوه واقبلوا ما أتاكم به من رسالات متى توح تدرس
والإفاني خائف أن يعذبوا ويضرب على أبقارهم ثم تطعس
وتلقوا كما لاقت قرون كثيرة مضت قبلكم من صناعات ونحس^(٢).

(١) الديوان / ص ٢٨.

(٢) الديوان / ص ٥٧-٥٩.

وأما حادث الهجرة فقد أفرد له قصيدة ومقطوعة ونبقة؛ وفي القصيدة يذكر المحاورة التي جرت بينه وبين النبي في الغار ويشير إلى رد النبي "ما ظنك باثنين الله ثالثهما" حينما أعلن خوفه عليه من الأعداء، ويذكر أن النبي قد طمأنه وهذا من روعه وأذهب عنه الوجع حينما قال ذلك، يقول أبو بكر:

قال النبي - ولم أجزع - يوقرنى ونحن في سدفة الليل من ظلمة الغار
لا تخش شيئا فإن الله ثالثنا وقد توكلنا منه بإظهار
وإنما الكيد لا تخشى بواده كيد الشياطين كادته لكفار
والله مهلكهم طرا بما كسبوا وجاعل المنتهى منهم إلى النار^(١).

ثم ينتقل إلى الحديث عن عبد الله بن أريقط دليلهما في طريق الهجرة وكيف كان يهديهما السبيل وكيف كانت الأبنق تتعب بهم نعبا تحت أكوامها ويعسفن بالركب عسفا في عرض الثنايا والمغازات إذ يقول:

حتى إذا الليل وارقتا جوائبه وسد من دونه ما نخشى ياسنار
سار الأريقط يهدينا وأينقه ينعين بالقوم نعبا تحت أكوار
يعسفن عرض الثنايا بعد أطولها وكل سهب دقاق التراب موار^(٢).

ويشير بعد ذلك إلى موقف سراقه بن مالك الذي كان طامعا في جائزة رصدها الكفار لمن يأتي بمحمد ﷺ، ويذكر فضل الله إذ لم يتمكن سراقه منهما فلقد كانت أقدام فرسه تسوخ كلما اقترب منهما هاما بالشر، حتى إذا ما أيقن سراقه أن سيهلك طلب من الرسول أن يعفو عنه معلنا إيمانه بالنبي وتصديقه بالرسالة، ومعاهدا الرسول ألا يخبر القوم بما جرى بل سيموه عليهم وبذلك نجى

(١) لديون/ من ص ٥٤،٥٣.

(٢) لديون/ من ص ٥٦،٥٥.

الله عز وجل النبي وأبا بكر وواصل رحلتها وأظهر الله دينه وأعز نبيه، يقول أبو بكر معبرا عن ذلك:

حتى إذا قلت قد أجدن عارضنا
فهيل لنا رأى أرساغ مهرته
فقال هل لكم أن تطلقوا فرسى
فأصرف الحى عنكم إن لغيتهم
فقال قولا رسول الله مبتهلا
فنجة سالما من شر دعوتنا
فأظهر الله إذ يدعو حوافره

من مدلج فارس فى منصب وار
قد سخن فى الأرض لم تحفر بمحسار
وتأخذوا موتقى فى نصح أشرار
وأن أعور منهم كل عوار
يا رب إن كان ينوى غير إخفارى
ومسره مطلقا من كلم أثار
وفاز فارسه من هول أخطار^(١).

وأما اللقطوعة التى أوقفها على الحديث عن الهجرة فقد عبر فيها عما جرى لسرافة أيضا، وفيها بطن أبو بكر أن هذا الأمر زاده إيماننا ويقيننا واطمئناننا إلى جنب الله تعالى، يقول:

وقد زاد نفسى واطمأنت وأمنت
سرافة إذ يبغى علينا بكيسده
فقال رسول الله بئر رب أعضه
فساخت به فى الأرض حتى تغيبت
فأغناه رب العرش عنا ورده

به اليوم ما لاقى جواد ابن مدلج
على أعوجى كانه لوة مدعج
فهما تشا من مظنح الأمر تقرج
حوافره فى بطن واد مفجج
وليولا دفاع الله لم يتعرج^(٢).

وأما اللقطة التى تحدث فيها عن أمر الهجرة فلا يشعز فيها إلا إلى بصابة إصبغه فى القفار ويظهر فيها قوة إيمانه، حيث يقول مخاطبا تلك الإصبع:

(١) لديوان/ ص ٥٦/٥٥.

(٢) لديوان/ ص ٨٦/ ٨٧.

إن أنت إلا إصبع دميست
وفى سبيل الله ما لقيت^(١).

والحادثة الثالثة التي تأثر بها أبو بكر وتفعل بها انفعالا شديدا فذهب ينظم فيها شعرا، هي حادثة الإتك وما جرى فيها من افتراء على ابنته السيدة عائشة وقد خصص لها قصيدة قصيرة ولكنها معبرة عن الحادثة تعبيراً جيداً وهو في بدايتها يقرع عوفاً (مسطح بن أثانة) تقيحاً ويعنفه تعنيفاً شديداً على مقولته الكاذبة، وفيها نرى أبا بكر حزينا متألماً، مدافعاً عن ابنته دفاعاً مستميتاً، متهماً من افتري عليها هذا الأمر بالكذب والزور والبهتان، ومشيراً إلى نزول قرآن كريم مبرئاً السيدة عائشة مما نسب إليها، وذكرها في نهايتها وعده الذي قطعته على نفسه بجزاء عوف شر الجزاء بما اقتترف من إثم وما لجترح من بيتان، يقول أبو بكر معبراً عن ذلك كله:

يا عوف ويحك هلا قلت عارفة
أما حزنت من الأقوام إذ حسدوا
لما رميت حصاناً غير مقرفة
فيمن رماها وكنتم معشراً فكأ
فأنزل الله قرآننا يبرئها
فإن أعش أجز عوفاً عن مقالته
من الكلام ولنم تتبع به طبعها
من أن تقول وقد عاينت قرعا
أمانة الجيب لم تعلم به خضعا
من سئ القول في اللفظ الخناسرعا
وبين عوف وبين الله ما صنعنا
شر الجزاء بما ألفت به طبعها^(٢).

(١) الديوان/ ص ٨٥.

وهذان البيتان ينسجان إلى عبد الله بن رواحة ضمن قصيدة قالها يوم موته، انظر ديوان عبد

الله بن رواحة ص ١٥٤.

(٢) الديوان/ ص ص ٤٤ - ٤٦.

٢- شعر الدعوة:

هو فن جديد من الشعر لم يعرفه العرب ولم يألفوه من قبل، وأثر من أنار الإسلام في الأدب بلا شك وقد اتخذ شعراء الإسلام وسيلة من وسائل نشر الدين وعرض مبادئه الحنيفة، فتحدثوا فيه عن وحدانية الله وضرورة الإيمان به مسفهين بذلك أحلام المشركين وعقائدهم الفاسدة، كما تحدثوا عن النبوة والرسالة والمعقّدة والفضائل والقيم الدينية، ووقفوا داعين ومبشرين ومنذرين، مرشدين وواعظين، مذكّرين وناصحين.

وفي هذا المجال ينهض أبو بكر رضى الله عنه شاعرا من أكبر شعراء الدعوة الإسلامية آنذاك، ولا غرور في ذلك فهو الصديق الذي نذر نفسه للإسلام والدفاع عن الدين بكل ما أوتى من سبيل، وأحس أن عليه واجبا يجب أن يؤديه، وهو يعلم ما للشعر من تأثير في النفوس فاتخذ مجالا من مجالات الجهاد. لقد وجه همه الأكبر إلى نشر الرسالة المحمدية والدعوة إلى الدين الكريم، معضدا للنبي ومؤازره، ومؤمنا إيمانا بيقينيا بأن الدين في حاجة إلى من يشرح مبادئه ويوضح عقائده ويذكر به ويدعو إليه.

ومن ثم فقد وجدنا في شعره مقطوعات وقصائد برمتها موقوفة على هذا الأمر، بالإضافة إلى ما اختلط من هذا الغرض بغيره من الأغراض الأخرى. وإذا كان شعر المدح عنده قد مثل ما يقرب من ربع الديوان فإن شعر الدعوة يزيد على ذلك بكثير إذ يبلغ أكثر من مائة وعشرين بيتا وبذلك يحتل شعر الدعوة المكانة الأولى بين فنون الشعر عند أبي بكر. ويجب أن نشير هنا إلى أن أبا بكر قد تفوق في هذا المجال - على كعب بن مالك وعبد الله بن رواحة رغم شهرتهما في الشعر ومكانتهما الأبيسية التي عرفا بها.

وقد تطرق أبو بكر في هذا الفن إلى أفكار كثيرة، ففيه يدعو الناس إلى الدخول في الدين والإيمان بالله عز وجل، وينصح ويمحض للمصلح منهم، ولا

يقصر في الدعوة ولا يتوانى، وهو في خلال ذلك يحمد الله أن هداه إلى الإيمان وانتشاه من وهدة للضلال وانتشله من مستنقع الكفر والبهتان، يقول:

هلموا إلى دين النبي محمد ولو كان في أقصى جبال عمان
محضتكم نصحي فلا تقبلونه حزاكم إلهي نصحكم وجزائني
فأحمد مولاي الجليل فإنه بنعمته ما انتاشني وهداني⁽¹⁾

ويكرر "الحمد" في أكثر من موضع على أن هداه الله إلى الإسلام وتفضل عليه بالإيمان إذ يقول في قصيدة أخرى:

الحمد لله على الإسلام
إنعامه من أفضل الإنعام⁽²⁾.

ليوضح للناس أن الإسلام نعمة كبرى ومنة من الله عز وجل يجب ألا يهدروها وأن يحافظوا عليها ويستمسكوا بها ويحمدوا الله عز وجل ويشكروه على أن تفضل عليهم بها.

وهو عندما يدعو الناس إلى الدخول في الدين فإنه يذكر لهم أول ركن من أركانه وعقيدة من عقائده، وهي الإيمان بوحداية الله، تلك الوحدانية المطلقة، فالله واحد لا شريك له، ولا معقب لحكمه ولا راد لقضائه، وإرادته نافذة، قادر على كل شيء، بيده تجري المقادير والأمور، وليس له مشير، فرد صمد لا يغيره مر السنين وكر الدهور، وهذا ما عبر عنه في قوله:

والله ربي واحد قدير
تجري كما يشاؤه الأمور
ليس له في فطره مشير

(1) الديوان/ من ص ٤٩/٥٠.

(2) الديوان/ ص ٣٩.

ولا تغير كونه الدهور^(١).

ووجدانية الله عز وجل تستوجب تسبيحه وذكره وتنزيهه عن كل شيء فهو ليس كمنته شيء، وتستوجب التوكل عليه والاعتصام به، وعدم الركون إلى أحد سواه، فمن توكل على الله كفاه وإن نفسا لا تخبب أبدا إذا ما توكلت على الحى القيوم، يقول أبو بكر منزها الله عز وجل:

سبحان ربى وبه اعتصامى^(٢).

ويقول متوكلا عليه سبحانه وتعالى:

فتوكل على الحى الذى لم تخب نفسا عليه اتكلت^(٣).

لأن من توكل على غير الله ورام سواه أسرحه الله فى حيرة يلهو كما يقول أبو بكر:

ما بغير الله من قوم

ومن يرم سواه من مرام

يحر به على مدى الأيام^(٤).

ولا يمل أبو بكر رضى الله عنه من دعوة الناس إلى الدخول فى الدين فقد لاح صبحه للسايرين. وبدا نوره للمتلجين؛ ومن ثم فلا يتوانى عنه إلا من اضطرب عقله وعشى بصره وفسد أمره، يقول أبو بكر معبرا عن هذه الفكرة:

ألا أبلغا عنى قريشا رسالة
ولا تلبسنا فالحق لا يتابس
فقد لاح للسايرى الصياح فأبصرت
عيون لكم كانت عن الحق تطمس
أنبيوا إلى دين النبى محمد
فطالب دين الله أعلى وأكيس

(١) الديوان/ ص ٣٧.

(٢) الديوان/ ص ٤٣.

(٣) الديوان/ ص ٣٦.

(٤) الديوان/ ص ٤٠/٤١.

ولا تتوانوا عن طلاب نبيكم فما يتوانى عنه إلا الموسوس^(١).

وفى جانب آخر من شعر الدعوة نرى أبا بكر يقف مفقداً مزاعم
المشركين ومدحضا حججهم، ومسفها أحلامهم، ومبينا فساد عقيدتهم، ومقيما
عليهم الحجة والبرهان، مخاطبا فى ذلك عقولهم حتى يفيقوا من غيهم وضلالهم،
ويكويوا إلى رشدهم، وموضحا فى مناجلة هادئة أن تلك الأصنام التى يعبدونها
ما هى إلا قطعة صخر صماء خرساء لا تملك لنفسها نفعا ولا تدفع عنها ضرا،
فكيف يخاطبونها ويتعبونها ويطلبون منها ما يريدون، ويذكر أن من صنع منهم
ذلك فلقد مضى على غير بصيرة أو هدى وأن مصيره إلى النار وبئس القرار
كما يقول:

أيرضيك رب قليل غناؤه عن العابديه الدهر أبكم أخرس
قطعة صخر قرع الفحل رأسه وأربعه حسا فلا يتفلس
مضى من مضى منكم بغير بصيرة نهته وكم سيقت إلى النار أنفوس^(٢).

ولذلك يدعوهم إلى سماع الناصح النصوح محمد الأمين ﷺ الذى جاء
بالحق المنير والصراط المبين فيقول:

هلموا إلى نصح النصوح الذى أتى بحق منير وجهه لا يحبس^(٣).

ويستمر أبو بكر مقدما لهم نصحه، طالبا منهم تقبله، ويذكر لهم أن من
قبل النصيحة منهم وأمن بالله جاء يوم القيامة طاهر القلب لا أثر فى وجهه
للذنب، وأن من رفض ذلك النصيح فإن ملاك الموت يلقاه مقطب الجبين عابس
الوجه، وهذا ما يتضح فى قوله:

فمن يتقبل نصحى بواف وجهه من الذنب فى يوم القيامة أملس

(١) الديوان / ص ٦٠.

(٢) الديوان / ص ٦١.

(٣) الديوان / ص ٦١.

ومن يأب نصحي يأتيه الموت كارها ويلق ملوك الموت وهو معبس^(١).

وفي هذا اللون من الشعر يوضح أبو بكر - كما يوضح الدين - مصير هؤلاء المشركين المعاندين والكافرين المكذبين فيذكر لهم ما ينتظرهم من عقاب شديد وعذاب أليم يوم القيامة حيث يسحبون على وجوههم إلى النار سحباً مصفدين في الأغلال مقرنين في الأصفاد، أفضل شرابهم في جهنم للحميم إذا ما انتابهم الظمأ وأرادوا أن ينقعوا غلتهم الصادية من حر الجحيم، يقول:

ومن باللات والعزى تمسك معصماً جذلاً
إلى نار مسعرة يعالج غلها للقملاً
شرابهم إذا ظمئوا حميم يورث الطحلاً
وكم من مشرك فسى النا ر بغشى الغل والكبلاً^(٢).

ويقول في موضع آخر:

وراح المشركون إلى شراب حميم شيب بالسهم المذاف^(٣).
ويشير في بيت آخر أن الله سريع العقاب، وأن عذابه لا يتأخر عن كسل من
يركب الضلالة ويتمادي في الطغيان، فيقول:
وإن يركبوا طغيانهم وضلالهم فليس عذاب الله عنهم بلائ^(٤).

وإن كان هذا هو الجزاء الذي ينتظر الكافرين فإن هناك ثواباً جزيلًا وأجرًا
عظيمًا أعدّه الله للمؤمنين حيث جنة الخلد والرحيم المقوم، يقول مشيراً إلى شيء
من هذا الثواب:

(١) الديوان/ ص ٦٢.

(٢) الديوان/ ص ص ٧٩/٧٨.

(٣) الديوان/ ص ٧٥.

(٤) الديوان/ ص ٢٢.

فأصبح من مضى للمـــــــ
سالمين مبادرا عجلأ
ثوابا في جنان الخـــــــ
د يكسى الحلى والطلا(١).

ويقول:

فأب المسلمون إلى جنان
يمتقون العضاس بالسلاف(١).

ويقول مقارناً بين المصيرين: مصير المشركين ومصير المؤمنين:

فقوم إلى نار الحجيم مصيرهم
بإفلاسهم والعايد الصخر أفس
وقوم بجنان الخلسود مقامهم
ثيابهم فيها حريس وسندس(٢).

ويقتضى شعر الدعوة أن تعرض مبادئ الدين، وتشرح أحكامه، وتوضح
قيمه للناس، وأن تعرض عليهم جوانب العبادة التي جاء يدعو إليها الرسول ﷺ،
وهذه مهمة عظيمة من مهام الداعية؛ ولذلك نجد أبا بكر لا يغفل هذا الجانب في
شعره، فقد قام بذلك خير قيام مرغبا الناس في تلك العبادات وهذه القيسم في
بساطة ويسر، مبينا فوائدها ونفعها الذي يعود على من يؤتيها ويتمثل بها، حيث
يقول:

دعا الناس النبي إلى رشاد
فلم ير فيه منا من خلاف
أجناه إلى ما شاء منا
فأوتنا إلى حسن اتلاف
إلى توحيد خلاق البرايا
وكفر بالحجارة والخاف
على خمس الصلاة وصوم شهر
وإيتاء الزكاة بلا اقتفاف
وإناء التيسم يحسن رفق
وبر بالقرابة والقفاف

(١) الديوان/ ص ٧٨.

(٢) الديوان/ ص ٧٥.

(٣) الديوان/ ص ٦٢.

وفى هذا الفعال بقر وإكمال المروءة والعفاف^(١).

فهو ينكر -هنا- أن النبي قد دعا الناس إلى الحق والخير والسهدى والرشاد فأمنت به طائفة اتسمت بالحب والتعاون والانتلاف، ودعاهم إلى توحيد الله وإقام الصلاة وصوم رمضان وإيتاء الزكاة بلا بخل وهذه أهم قواعد الإسلام التي بنى عليها.

ودعاهم كذلك إلى معاملة اليتيم معاملة حسنة رقيقة، وإلى صلة الأرحام والبر بها والعطف على المسكوق والرفق به، وهذه كلها فعال طيبة حميدة فيها الخير والبر وفيها المروءة والعفاف.

ويمضى أبو بكر -فى موضع آخر- مؤكدا على هذه العبادات وتلك القيم والإرشادات التي جاء يدعو إليها الرسول، فيقول:

فبين الصلاة لنا والزكاة
وبرا بذى رحم يوصل
ومن الصيام لنا والقيام
مولى إلى الله لا تجهلوا
وحجا إلى الله فى بيته
لمن كان ذلك له سهلا
وأمرنا بعرف ونهيا عن البر
مفاكر فى كل ما يفعل^(٢).

ويقول أيضا:

فجاءتكم بجمع جسام
من لادن المسكين الحلال
فيها بيجان الحنك والمعكرام
والأمر بالصلاة والصيام
وبالصلاة لسوى الأرحام^(٣).

(١) الديون/ ص ٧٣.

(٢) الديون/ ص ٦٥.

(٣) الديون/ ص ٤٠.

لقد وقف أبو بكر في هذا اللون من الشعر واعظا ومذكرا، وناصحا ومرشداً، وداعيا الناس إلى الدخول في الدين الحنيف وللتمسك بأهدابه، وإقامة فرائضه وأحكامه، كما وقف عرضاً قيمة ومبادئه الكريمة، ومبيناً آثارها الطيبة على كل من يؤمن بها ويتمسك.

وقد جاء هذا كله في أسلوب هادئ رزين، لا يخرج عن دائرة الدين، مراوفاً فيه أبو بكر بين الترغيب مرة والترهيب مرة أخرى والمحااجة العقلية تارة ثالثة، مقتدياً في ذلك بالنبي الكريم ومطبقاً الآية القرآنية التي يقول رب العزة: ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن...^(١).

والحق أن هذا اللون من الشعر دليل على أن الإسلام قد أخرج الشعراء من الدائرة الضيقة التي كانوا يدورون فيها وجعلهم يحطمون التقاليد الجامدة والقوالب المعينة منطلقين إلى رحابة الفكر وميدان التطور والتجديد.

ثانياً: الدراسة النقدية:

يستوجب نقد النص تحليله والوقوف عند عناصره والجوانب المعينة على فهمه، والبحث عما يحمل من دلالات وما فيه من مستويات مع استثمار المناهج النقدية كلها والاستفادة منها.

وبمعنى أدق فإن نقد النص - كما يرى د. يوسف نوفل - هو استشفاف النص الذي يعني عدم الاقتصار على جانب واحد بل سلوك الدروب الموصلة كلها، كما أنه لا يقيم بناء منهج على أنقاض منهج آخر، بل يستخدم كل أداة قد تسهم في استشفاف النص لقراءة ما وراءه وتأمل كل ما فيه^(٢).

(١) سورة النحل/ آية ١٢٥.

(٢) استشفاف الشعر/ د. يوسف نوفل/ ص ٢٧/ ط لونغمان سنة ٢٠٠٠.

والحق أن شعر أبي بكر يحتاج إلى دراسة نقدية مستنفاضة، ولكن لا بأس هنا من الإشارة إلى أهم محاور التقييم الفني التي يمكن أن ندير عليها هذه الدراسة وهي على النحو التالي:

أ- اللغة والأسلوب:

للغة والأسلوب مبحث واسع من مباحث النقد الأدبي، وشعر أبي بكر من هذه الناحية في حاجة إلى وقفة طويلة، ولكن أهم ما يلفت نظر الباحث من خصائص لغوية وأسلوبية يتسم بها ما يأتي:

١- سهولة اللغة ووضوح الأسلوب:

وهذه السمة عامة في شعر صدر الإسلام، وفي شعر أبي بكر على وجه الخصوص إذ لا تعقيد ولا نشوز ولا تعقر ولا تنافر في الحروف^(١). بل سهولة ودقة وسلامة وعذوبة ووضوح وإن شئنا فلتنظر إلى قوله:

كَمَ مَنْ صَغِيرَ عَقْلِهِ كَبِيرٌ

وَمَنْ كَبِيرَ عَقْلِهِ صَغِيرٌ

وَفِي الْبَحْرِ تَفْرَقُ الْبَحْرُورُ

وَالْقُرْبَىٰ وَاحِدٌ قَدِيرٌ^(٢)

وإلى قوله:

(١) وهذا من أهم الشروط التي أشار إليها البلاغيون والنقاد قديماً بهدي أن من أهم سمات اللفظ أن يكون سهلاً مخرج الحروف "نقد الشعر/ الكلمة/ ص ٨٤، تحقيق محمد عبد المنعم خلفي/ ط ١ مكتبة الكليات الأزهرية سنة ١٩٨٠.

والقزويني يذكر أن من أهم شروط فصاحة الكلمة خلوها من تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس" ومن أهم شروط فصاحة الكلام خلوه من ضعف التاليف وتنافر الكلمات والتعقيد" انظر التلخيص في علوم البلاغة/ ص ٢٤، ٢٦/ ضبط وشرح البرقوقى/ نشر دار الكاتب العربي/ بيروت (بدون).

(٢) لديوان/ ص ٣٧.

الحمد لله على الإسلام
إنعامه أفضل الإنعام
أسكننا بالبلاد الحرام
واختصنا بأحمد التهامي^(١).

لنرى بساطة الأسلوب وسهولة اللغة التي تصل أحيانا إلى مستوى الكلام العادي
ولكن مع هذا لا نعدم وجود كلمات صعبة غريبة تحتاج في فهمها إلى معاجم
للغة، وذلك مثل كلمة "الفجنس" في قوله:

فلا يختزلكم دونه ذكر مهمة يكل به الوهم للجلال الفجنس^(٢)

وكلمة "الهنايث" في قوله:

هدانا به الرحمن من فتن الودى وأنقذنا من هول تلك الهنايث^(٣)

ولكن ورود مثل هذه الكلمات الغريبة لا يجعل شعر أبي بكر معيبا أو مسرذولا
فهو لم يسرف في استخدامها ولم يكن ذلك الأمر سائدا في شعره.
وقد أشار النقاد إلى أن الشاعر إذا استخدم "الغريب فلا حرج عليه"^(٤). بشرط
عدم الإصراف فيه ويكادون يجمعون على أن للكلام إذا ساد فيه استعمال الغريب
أصبح معيبا مرذولا^(٥) وأما إذا جاء يسورا محتملا بلا عمد فهو مقبول^(٦).

(١) الديوان / ص ٣٩ / ٤٠.

(٢) الديوان / ص ٦١ ومعنى الفجنس: الجمل العظيم.

(٣) الديوان / ص ٤٧ ومعنى "الهنايث" الأمور الشديدة وهي جمع كلمة هنيئة.

(٤) أسس النقد الأدبي عند العرب / د. أحمد أحمد بدوي / ص ٥٩ / ط نهضة مصر (بدون).

(٥) أسس النقد الأدبي عند العرب / ص ٥٩.

(٦) يقول د. محمد طاهر درويش "والرأي عندي أن الغريب للوحشى فن الشعر الذى تستوفز

عنده حاسة الأدياء لكشف معناه مرفوض معيب وما فيه من قيس المبتدئين من ذلك

الإقلال منه وعدم التمدد له مقبول" أنظر في النقد الأدبي عند العرب / د. محمد طاهر

درويش / ص ٢٥٣ / ط دار المعارف سنة ١٩٢٩م.

لقد جاء شعر أبي بكر مقبولاً غير مردول أو معيب، واضح الأسلوب، وقد تحقق ذلك الأمر "باستعمال ألفاظ سهلة مألوفة، لكنها غير مبتذلة ولا سوفية، وبالبعيد عن الألفاظ الغامضة والوحشية"^(١)، ولعل للإسلام أثراً واضحاً في ذلك فلقد هذب اللغة وتقف الطباع وأبعد الشعراء عن كثير من التعقيد والغرابية فسي اللغة والأسلوب.

٢- الدقة في اختيار الألفاظ:

يقول ابن طباطبا: "والمعاني ألفاظ تشاكلها فتحسن فيها، وتقبح في غيرها"^(٢). ويقول ابن رشيق: "اللفظ جسم وروحه المعنى وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم"^(٣).

ولذلك لا بد للشاعر أن يختار من الكلمات "أدقها في أداء المعنى الذي يجول في نفسه"^(٤). وأن يلائم بين اللفظ والمعنى لأن "الملائمة بينهما ركن هلم في الأسلوب الأدبي فللخبر ألفاظ جزلة فخمة، وللغزل ألفاظ رقيقة سهلة، وللجد كلمت، وللهزل أخوى"^(٥).

والحق أن هذا الشرط قد توافر في شعر أبي بكر فلقد اختار لكل عرض من أغراض شعره كلمت معبرة عنه في غاية الثقة والإحكام حتى لمحمد هذا الأمر سمة من سمات أسلوبه، ففي شعر الدعوة اختار ألفاظاً وعبارات رقيقة لينة لوجيب للناس في الدين ويرغبهم في الإسلام وإن شئنا فلنقرأ قوله:

(١) في النقد الأدبي عند العرب/ ص ٢٣٩.

(٢) عبار الشعر/ ابن طباطبا/ ص ١١/ تحقيق د. عبد العزيز ناصر المنيع/ ط دار العلوم- الرياض سنة ١٩٨٥.

(٣) القصد/ ج ١/ ص ١٢٤.

(٤) المجلس عند الأبي/ ص ٤٥٢.

(٥) في النقد الأدبي عند العرب/ ص ٢٣٨.

أنبيوا إلى دين النبي محمد
فطالب دين الله أعلى وأكبر
هلموا إلى نصيح النصوح الذي
بحق منير وجهه لا يحبس^(١)

وفي شعر المعارك نقلنا إلى جو الحروب وما فيها من قتال وكر وفر ولحوات
وأسلحة وذلك كما نقرأ في قوله يوم حنين:

حين ولي الناس وانخلوا
هربا واحمرت الحنق
شد كالليث الهزير وقد
عظم الأشجان والقلق
وسيوف في أكفهم
كحمام الموت تصطلق^(٢).

وقوله:

وقالوا الحرب! فقلنا للحرب أدنى
لإبراء النفوس من لقتراف
صبا حياتنا كنجوم ليل
محددة كساطراف الأشافي
وسقيناهم موتا ذاعفنا
فلم ينجوا من الموت الذعفا
رماح من ردينة ما استجيت
مقامات المتون على النفاف
وخيرات القسي تطير عنا
رشاق المقعدييات الخفاف^(٣).

وفي الرثاء يختار ألفاظا معبرة عن الموت والحزن والألم والشجن ومن ذلك
قوله في رثاء النبي ﷺ :

أجرك ما لعينك لا تمام
كان جفونها فيها كلام
لأمر مصيبة عظمت وجلت
ودمع العين أهونه انسجام
فجعنا بالنبي وكان فينا
إمام كرامة نعم الإمام
نموج ونشتكى ما قد لقينا
ويشكر فقداه البلد الحرام^(٤).

(١) لديون/ ص ٦١.

(٢) لديون/ ص ٤١.

(٣) لديون/ ص ٧٤.

(٤) لديون/ ص ٢٩.

٣- الصحة اللغوية:

ويعنى النقاد بالصحة اللغوية جريان الكلام "على ما تقتضيه قواعد اللغة والنحو"^(١). والحق أن شعر أبى بكر لم يقع فيه خطأ واحد، ومن ثم فقد جاء موافقاً للقياس اللغوى بعيداً عن ضعف التأليف، متسماً بهذه الصحة اللغوية.

٤- التأثر بالدين الإسلامى:

تأثر أبو بكر فى ألفاظه وأسلوبه بالقرآن الكريم ومصطلحات الدين الإسلامى إلى حد بعيد جداً وهذا أمر يدهى لشاعر إسلامى خاصة أنه قريب المنزلة والمكانة من رسول الله ﷺ، وأنه نذر نفسه للإسلام وأخلص له أيما إخلاص، والتأثر بنصوص أخرى نمط من أنماط التناص أو التناصية التى تعنى "علاقة حضور مشترك بين نصين أو عدة نصوص وبكلمة أخرى إنها وبطريقة استحضارية وغالبة الحضور الفعلى لنص فى نص..."^(٢).

وسأكتفى هنا بضرب أمثلة قليلة من هذا التأثر، فنحن حينما نقرأ قوله:

عجبت لما أسرى الإله بعبده من البيت ليلاً نحو بيت مقدس^(٣)

نص أن وراءه قول الله تعالى: "سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى"^(٤).

وأما قوله:

وأمرأ بعرف ونهياً عن الـ مناكر فى كل ما يفعل^(٥)

(١) فى النقد الأبيى عند العرب/ ص ٢٣٨.

(٢) أنظر مبادئ تحليل النصوص الأدبية/ د. بسام بركة/ د. ماتييو فويد ص ٢٧٣/ ط لوجمان سنة ٢٠٠٢م.

(٣) الديوان/ ص ٥٧.

(٤) سورة الإسراء آية ١.

(٥) الديوان/ ص ٦٥.

غير متأثر بقول الله تعالى: "الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور"^(١). وكذلك قوله:

وفى النبى ما كان واعدأ من للنصر والفتح للمبين ليغفرا^(٢)

الذى يتأثر فيه بقول رب العزة "إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما"^(٣).

وكما تأثر بالفاظ القرآن الكريم وأسلوبه فقد تأثر بمصطلحات وكلمات دينية فأورد منها شيئا كثيرا فى شعره مثل "الوحى، الرسول، النبى، المصطفى، البيت الحرام، القدر، القضاء، البعث، النشور، المهيمن، العلم، الواحد، القدير، البارئ" بالإضافة إلى الصلاة والصيام والزكاة والحج وما تحمّل هذه الكلمات من دلالات إسلامية.

٥- المظاهر البديعية:

كثرت بعض الألوان البديعية فى شعر أبى بكر نون غيرها وأهمها وأبرزها ما يأتى:

أ- الطباق:

يعرف البلاغيون الطباق بأنه "الجمع بين المتضادين أى معنيين متقابلين"^(٤). ويقسمونه إلى أنواع عديدة وهو عندهم نوع من أنواع المحسنات البديعية المعنوية والحق أن الطباق قد جاء بصورة لافتة للنظر فى شعر أبى بكر خاصة

(١) سورة الحج/ آية ٤١، وهو متأثر أيضا بقول الله تعالى "خذ العفو ولمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین" الأعراف آية ١٩٩.

(٢) لنبيون/ ص ٧٢.

(٣) سورة الفتح/ آية ٢٠١.

(٤) الإيضاح فى علوم البلاغة/ القزوينى/ ص ١٩٢/ ط صبيح سنة ١٩٦٦.

في شعر الدعوة، وذلك حينما يقارن بين المؤمنين والكافرين، وفي شعر المعارك الإسلامية عندما يتحدث عن الجيش الإسلامي وجيش المشركين ومصير كل منهما، ومن ذلك قوله:

فإن يرجعوا عن كفرهم وعقوقهم فما طيبات الحل مثل الخبائث^(١)

وقوله:

فلما أبان الخير فيهم أجيادهم وليس مجاد مثل من كان محصوراً^(٢)

وقوله:

كلا طليقة كان من بيعتها ذهاباً وإقبالاً وما من مغرس^(٣)

ب- الجناس:

هو اتفاق اللفظين في وجه من الوجوه مع اختلاف معانها، ويشير ابن أبي الإصبع إليه -نقلاً عن الرمانى- بأنه: "بيان المعانى بأنواع من الكلام يجمعها أصل واحد من اللغة"^(٤). ولما العلوى فيذكر أنه "لتماثل وان المجانسة هي المماثلة وقد سمي جناساً لما فيه من المماثلة اللفظية"^(٥). ويقسمه البلاغيون إلى قسمين أساسيين هما الجناس التام والجناس الناقص ويترجون تحت كل قسم أنواعاً متعددة ومما وقع من جناس في شعر أبي بكر قوله:

(١) الديوان/ ص ٢٢.

(٢) الديوان/ ص ٦٩.

(٣) الديوان/ ص ٥٧.

(٤) تحرير التعبير/ ابن أبي الإصبع/ ص ١٠٢/ تحقيق د. حفي محمد شرف/ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية/ سنة ١٩٥٥.

(٥) الطراز العلوى/ ج ٢/ ص ٣٥٥ ط دار الكتب العلمية- بيروت سنة ١٩٨٢.

فيجزى محسنا حسني ويجزى الزلة الزلا^(١)

وقوله الذي يقع فيه الجناس والطباق:

عن أمره الميسور والمعسور^(٢).

ج- رد العجز على الصدر:

ويسمى الارصاد أو التسهيم وهو أن يجعل قبل العجز من الفقرة،
والبيت ما يدل على العجز إذا عرف الروي^(٣). ويشير ابن الأثير إلى أن حقيقة
هذا النوع من البديع أن يبني الشاعر البيت من شعره على قافية قد أرصدها له:
أي أعدها في نفسه^(٤). ويرى أن ذلك من محمود الصنعة فإن خير الكلام ما دل
بعضه على بعض^(٥). ومما جاء في شعر أبي بكر من هذا النوع قوله:

(١) الديوان/ص ٧٦.

(٢) الديوان/ص ٣٧.

(٣) الإيضاح/ص ١٩٨.

وقد قسم ابن المعتز هذا الباب إلى ثلاثة أقسام/ انظر البديع لابن المعتز/ص ٤٨، ٤٧/ ط ٣
المسيرة ١٩٨٢.

إذ يقول إن منه ما يوافق آخر الكلمة فيه آخر كلمة في نصه الأول ومنه ما يوافق آخر كلمة
منه قول كلمة في نصه الأول ومن ما يوافق آخر كلمة فيه بعض ما فيه ص ٤٨، ٤٧.

ويسميه أسامة بن منقذ التردد أو التصدير ويعرفه بقوله "رد أعجاز البيوت على صدورهما أو
ترد كلمة من النصف الأول في النصف الثاني.

انظر البديع في نقد الشعر/أسامة بن منقذ/ص ٥١/تحقيق أحمد بدوي وحامد عبد المجيد
/طبعة الليبي الحلبي ١٩٦٠.

(٤) المثل السائر/ ابن الأثير/ ج ٢/ ص ٣٢٩/ تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد/ ط ١
المصرية- بيوت سنة ١٩٩٠م.

(٥) المثل السائر جزء ٢ ص ٣٢٩.

أحسن في لطفه ببعض ومن شعره المحسن المجمل (١)

وقوله:

وكان الدين منجزاً عراه فأضحى الحق ليس له انجزالم (٢)

وقوله:

إذا عدت الأنساب لو قسن بالحصى فمغرسه من هاشم خير مغرس (٣)

ولكن يجب أن يلاحظ أن أبا بكر لم يكن متعمداً في استخدام الصنعة ولم يكشف عنها ولم يكن متكلفاً فيها ومن ثم فإنها لم تتطغ على المعنى عنده.

٦- ظواهر لغوية وأسلوبية أخرى:

وبالإضافة إلى ما سبق من خصائص اتسم بها شعر أبي بكر فإن فيه بعض الظواهر اللغوية والأسلوبية الأخرى التي تلفت النظر ولعل أبرزها ما يأتي:

• أسلوب الشرط:

وهذا الأسلوب يكثر عنده في التهديد والوعيد وفي الحديث عن المعارك

ووصفها ومن ذلك قوله:

إذا ما دعوناهم إلى الحق أدبروا عن الحق إنيار الكلاب اللواهت (٤)

وقوله:

فلئن تكيف لم تعجل تويته ويتماد عن سنن الطريق الجانف

لخصبخن غواتهم في دارهم مقابل عن ذي زهاء زاحف (٥)

(١) الديوان/ ص ٦٤.

(٢) الديوان/ ص ٨١.

(٣) الديوان/ ص ٥٨.

(٤) الديوان/ ص ٢٢.

(٥) الديوان/ ص ١٩.

وقوله:

وإن يركبوا طغيانهم وضلالهم فليس عذاب الله عنهم بلائث^(١)

• أسلوب التوكيد:

ويأتى هذا الأسلوب بطرق متعددة فمرة يأتى التوكيد بـ"ب" ومرة "بقـ" وثالثة بدون التوكيد أو بالمفعول المطلق أو التكرار ومن ذلك قوله الذى يجتمع فيه الشرط والتوكيد:

فإننا وإن غيرتمونا بقتله وأرجف بالإسلام باغ وحامد
سقيننا من ابن الحضرمي رماحنا بنخلة لما أوقد الحرب ولقد^(٢)

وقوله:

فقد أورتتنا ميراث صدق عليك به التحية والسلام^(٣)

وقوله:

فإنما المرء بالأصغرين^(٤).

وقوله:

ولقد كان ما علمت وصولا ولقد كان رحمة فى سناء
ولقد كان بعد ذلك نورا وسراجا يضئ فى الظلماء^(٥)

(١) الديوان / من ٢٢، أنظر ص ٢٣، ٢٧، ٢٦، ٢٧، ٢٨.

(٢) الديوان / ص ٢٧.

(٣) الديوان / ص ٣٠.

(٤) الديوان / ص ٣٨.

(٥) الديوان / ص ٣٦.

وقوله:

صار الأريقط يهدينا وأينقه ينعين بالقوم نعبا تحت أكلور^(١).

• أسلوب القصر:

القصر عند البلاغيين هو تخصيص أمر بأمر بطريق مخصوص وهو يأتي للحصر والتوكيد والاختصاص.

وقد أشار البلاغيون إلى أن له طرقا كثيرة أشهرها في الاستعمال أربع وهي: إنماء، والنفي والاستثناء، والعطف بلا ولكن، وتقديم ما حقه التأخير، وقيد فصل هذا الأمر كثيرا عند القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز^(٢).

ومما جاء من هذا الأسلوب في شعر أبي بكر مستخدماً "إنما" قوله:

وإنما الكيد لا تخشى بوائره كيد الشياطين كادته لكفار^(٣)

وقوله مستخدماً للتقديم:

مبينة فيها شفاء ورحمة وموعظة للسائل المتجسس^(٤)

وقوله:

ونحن أناس من ذؤابة غالب لنا العز منها في الفروع الأثالث^(٥)

(١) الديون/ ص ٥٥.

(٢) أنظر: دلائل الإعجاز/ عبد القاهر الجرجاني/ ص ٢١٥ - ٢٤٤/ تصحيح السيد محمد رشيد

رضا/ ط ٦ صبيح سنة ١٩٦٠م.

(٣) الديون/ ص ٥٤.

(٤) الديون/ ص ٥٨.

(٥) الديون/ ص ٢٣.

وقوله:

عليك سلامكم نعتت ظمأنا بربى وكم أشبعتنا من مغارث^(١)

ومن الملاحظ أن أبا بكر يستخدم طريقة التقديم والتأخير أكثر من غيرها من طرق القصر وهو لا يقدم إلا ما حقه التقديم وفي ذلك زيادة فى المعنى وفائدة وأهم ما يلجأ إليه فى التقديم هو تقديم الخبر "الجار والمجرور" على المبتدأ كما نلاحظ فى الأمثلة السابقة.

• أساليب إنشائية:

ومن الظواهر الأسلوبية فى شعر أبى بكر بروز أساليب إنشائية كالأمر والنهى والاستفهام وقد جاءت هذه الأساليب لأغراض بلاغية معينة ودلالات خاصة، وذلك كما نقرأ فى قوله عن اللطال:

أتسال من لا يجيب السؤال وهل ينطق الخلق المحسول؟^(٢)

فالأستفهام الأول يحمل معنى الإنكار وأما الاستفهام الثانى فدلالته للنهى.

وأما الاستفهام فى قوله:

ألم يعلموا أن قد أتى بصلاحهم ورد أمور قد خلون مشاعث^(٣)

فإنه يحمل دلالة التبكيت والتفريع.

وأما الأمر والنهى فى قوله:

ألا فابحثوا عنه تلاقوا ببحنكم

ولا تعيثوا فيما تريدون قصده

عن المصطفى المبعوث خير المبلحث

فلن يرشد الرحمن قصدا لهابت^(٤)

(١) الديوان/ ص ٤٨.

(٢) الديوان/ ص ٦٤.

(٣) الديوان/ ص ٤٧.

(٤) الديوان/ ص ٤٧.

فغرضهما النصيح والإرشاد وكذلك الأمر في قوله:

هلموا إلي دين النبي محمد ولو كان في أقصى جبال عمان^(١)

ويستقرام شعر أبي بكر فلاحظ أن المناوب الامتقاهم يأتي أكثر من غيره من بين
الأمثاليب الإنشائية.

ثانيا: الصورة و الخيال:

لا غنى للأدب عن الخيال فهو عنصر مهم من عناصره، وهو الذي يقوم
بالقطب الضور من الواقع وإعادة ترتيبه وتكليف عناصرها وصياغتها من جديد،
ويتصرف فيها بالترتيب والتشكيل والعطف والإضافة ومن ثم فالعلاقة بينه وبين
الصورة علاقة وثيقة حميمة فالصورة هي أداته ووسيلته ومادته الهامسة للنبي
يمارس بها ومن خلالها فاعطيته وقشاطه^(٢)، وهي نتاجه في الوقت نفسه.

وقد قسم النقاد للصورة إلى صورة جزئية، وصورة كلية، وهم يعنون
بالصورة الجزئية التشبيه والاستعارة والكناية، ويقصدون بالصورة الكلية اللوحة
التي تتكامل فيها جوانب الصوت واللون والحركة والزمان والمكان والأشخاص
والألوان والظلال وغير ذلك.

ومن أكثر الصور الجزئية دورانا في شعر أبي بكر التشبيه، ومعطوم أن
التشبيه ليس فيه إغراق في الخيال كثيرا وليس فيه غلو إذا قيس بالألوان البيانية
الأخرى وهو أبسط هذه الألوان، ومن ثم فقد اتكأ عليه الشاعر الجاهلي الذي
عاش حياة بسيطة سهلة بعيدة عن التعقيد والغلو والإسراف، ولم يكن يُعرف
التغلغل في خفايا النفس الإنسانية ولا في أعماق الأشياء الحسية^(٣).

(١) الديوان/ ص ٤٩.

(٢) الصورة الفنية في التراث النقي والبلاغي/ د. جابر عصفور ص ٤١/ طبع دار المعارف
سنة ١٩٧٣م.

(٣) قصص جاهلي/ د. شوقي ضيف/ ص ٢٢٠/ ط ٤ دار المعارف سنة ١٩٦٠م.

لقد غلبت النزعة الحسية في التشبيه على الشاعر الجاهلي عامة وانتزع الشاعر صورته من العالم المادي المحسوس المحيط به^(١). ونقله لنا نقلاً أميناً، وامتد ذلك الأمر إلى شعر صدر الإسلام، ولذلك نجد أغلب تشبيهات أبي بكر حسية رغم الحياة الإسلامية الجديدة التي عاشها ورغم ما حمل الإسلام من معان عقلية كثيرة.

وقد جاء أغلب تشبيهاته مفصلاً مرسلًا، ولعله رأى في ذلك ما يعينه على نقل الواقع بتفاصيله، والعالم المحسوس بكل أجزائه.

ودليلنا على ذلك أنه حينما يريد أن ينقل لنا صورة الكفاءة على الجياد فإنه يصورهم بالأسود التي تغدو صنيحة دجن واكف، وحينما يريد أن يقدم لنا صورة الأسنه للامعة فإنه يصورها بنجوم الليل، وحتى حينما يريد أن ينقل لنا صورة لشجاعة النبي وكرهه على الأعداء يوم حنين فإنه يشبهه بالليث الهصور، ويصور مرة الهوم بالصخور، ويشبهه إعراض الكفار وإدبارهم عن الدين بإدبار الكلاب اللواهث، وهذه كلها تشبيهات حسية منتزعة من البيئة ولنا أن نقدم من شعره ما يدل على ذلك إذ يقول:

فيه الكفاءة على الجياد كأنهم أسد غدون غداة دجن واكف^(٢)

يقول:

إذا ما دعوناهم إلى الحق أدبروا عن الحق إدبار كلاب اللواهث^(٣)

(١) ولذلك نرى ابن طباطبا يقول: وأعلم أن العرب أودعت أشعارها من الأوصاف والتشبيهات والحكم ما أحاطت به معرفتها وأدركت عيانتها ومررت به تجاربها وهم أهل وبسر صحتهم الهولاء وسقوفهم السماء فليست تعدو أوصافهم ما رأوه منها وفيهما عبار الشعر من ١٥.

(٢) لديوان/ ص ٢٠.

(٣) لديوان/ ص ٢٢.

ويقول:

شد كالليث الهزير وقيد عظم الأشجان والقلق^(١)

ويقول:

صبا حياتنا كنجوم ليل محددة كأطراف الأشافي^(٢)

ولكننا سمع ذلك- لا نعلم وجود تشبيهات متأثر فيها أبو بكر بالإسلام وذلك كتشبيه النبي بالسراج، حيث يقول:

فكان سراجا للإله ورحمة يخلد في تلك الجنان المواكب^(٣)

فهو متأثر بقول الله عز وجل "يا أيها النبي إذا أرسلناك مبشرا ونذيرا: وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا"^(٤).

وتحتل الكناية المرتبة الثانية في شعر أبي بكر بعد التشبيه ومعظم كنياته إن لم يكن كناية عن صفة ومن الكتابات اللطيفة التي وردت عنده قوله:

بأيدي رجال لا يرام لهم حمى إذا لبسوا فوق الدروع السطور^(٥)

فقوله "لا يرام لهم حمى" كناية عن شجاعتهم وشدتهم التي تجعل حماهم محفوظا غير مستباح، ومن ذلك قوله:

مغيظ على مالكي أسكره يخشال على أنفسه وممثل^(٦)

كناية عن شدة الغضب وأما قوله:

(١) الديوان/ ص ٤٤.

(٢) الديوان/ ص ٧٤.

(٣) الديوان/ ص ٤٨.

(٤) سورة الأحزاب آية ٤٥، ٤٦.

(٥) الديوان/ ص ٧١.

(٦) الديوان/ ص ٦٧.

لما رميت حصانا غير مقرفة أمينة الجيب لم تعلم به خضعا^(١)
فكناية عن "الطهر والعفة" وهي على أية حال كنايةات حسنة لطيفة تثير فينا متعة
فنية وتحفزنا إلى البحث عما وراء الإشارة والتلميح.
وأما الاستعارة فقد جاءت قليلة ومن ذلك قوله في رثاء النبي:

بكاه الدين والدنيا جميعا وبكى فقده البلد الحرام^(٢)

ومنها قوله عن الدين الإسلامي:

فقد لاح للمارى الصباح فلأبصرت عيون لكم كادت عن الحق تطمس^(٣)

ثالثاً: للعاطفة:

العاطفة انفعال نفسى منظم، وهي من أهم عناصر الشعر وأقواها تأثيراً
في سائرهما^(٤). بل إنها "أظهر ميزة في الأدب"^(٥)، فبدون العاطفة يصبح الشعر
عبارة عن لبنات جافة مرصوفة لا حياة فيها ولا حركة.

وقد فطن النقاد العرب القدامى إلى أهمية العاطفة، فبنى عندهم الدوافع
التي تحفز الشاعر إلى النظم وهي قواعد الشعر التي يبنى عليها؛ ولذلك يقول ابن
رشيق "قواعد الشعر أربع: الرغبة والرغبة والطرب والغضب"^(٦).

وقد وضع هؤلاء النقاد مقاييس لنقد العاطفة وأجملوها في خمسة أشياء

هي^(٧):

(١) الديوان/ ص ٤٥.

(٢) الديوان/ ص ٨٠.

(٣) الديوان/ ص ٦٠.

(٤) أصول النقد الأدبي/ أحمد الشايب/ ص ٣١/ ط الفاروقية سنة ١٩٤٠م.

(٥) نقد الأدبي/ أحمد أمين/ ص ٤٤/ ط؛ دار الكتاب العربي - لبنان سنة ١٩٦٧م.

(٦) العمدة/ ج ١/ ص ١٢٠.

(٧) انظر: أصول النقد الأدبي ص ١٧٢.

١- صدق العاطفة أو صحتها.

٢- قوة العاطفة أو روعتها.

٣- ثبات العاطفة أو استمرارها.

٤- تنوع العاطفة أو شمولها.

٥- سمو العاطفة أو درجتها.

والمقصود بصدق العاطفة أن تتبع عن سبب صحيح غير زائف ولا مصطنع حتى تكون عميقة تهب للأدب قيمة خالدة^(١).

وبتطبيق هذا المقياس على شعر أبي بكر نرى أن ذلك الشعر قد صدر عن عاطفة صادقة، فأبو بكر لا يتصنع في مديحه للنبي ولا يلبس رثاء الرسول ثوبا زائفا فحينما يدعو إلى الدين يدعو بصدق وإخلاص وحب عميق متغلغل في نفسه، بعيدا عن التكلف والزيف. وأما قوة العاطفة فليس المقصود بها الثورة أو الحدة وإنما المقصود بها مقدار ما يشبع في النص من حيوية وما يحمل من إحياءات تهزنا من وجداننا وتنفذ إلى أعماقنا فتكون أقوى أثرا في نفوسنا.

وإذا ذهبنا نطبق هذا المعيار على شعر أبي بكر نجده متحققا إلى أبعد الحدود فنحن حينما نقرأ -على سبيل المثال- رثاء النبي نجد أنفسنا في غاية من الحزن والألم وإن شئنا فلننظر إلى قوله:

أمست هموم تقال قد تأوبنى	مثل الصخور عظام هدت الجسدا
ليت القيامة قامت عند مهلكه	كى لا نرى بعده مالا ولا ولدا
ولست أسمى على شئ فجعت به	بعد الرسول إذ أسمى ميتا فقدا
كم لى ببعذك من هم ينصبنى	إذا تذكرت أنى لا أراك أبدا ^(٢) .

(١) السابق ص ١٧٢.

(٢) الديوان/ ص ٣٤.

ويقصد النقاد بثبات العاطفة أمرين "الأول بقاء أثرها في نفوس السامعين زمناً طويلاً"^(١)، والثاني "أن تثير فينا شعوراً متجانساً متسلسلاً، وبعبارة أخرى أن تكون هناك وحدة فلا ينتقل الأديب من شعور إلى آخر من غير صلة"^(٢).
وشعر أبي بكر من هذه الناحية يؤثر في نفوسنا تأثيراً بعيداً، ولا يزول هذا الأثر مبرحاً كما أن معظم قصائده تحمل شعوراً نفسياً متسلسلاً متجانساً إذ لا نحس فيها بانتقال من عاطفة إلى عاطفة ولا تقتصر في أبيات وترتفع في أبيات أخرى.

وأما المقياس الرابع وهو تنوع العاطفة فيقصد به النقاد تنوع الأغراض وقوة الشاعر على ذلك، لأن الشاعر المتنوع الأغراض أفضل من الشاعر المحدود الأغراض^(٣)، وأعظم الشعراء هم الذين يقدرون على إثارة العواطف المختلفة^(٤).

ومن ينظر إلى شعر أبي بكر يجده متنوع الأغراض فلقد نظم أبو بكر في المديح والرثاء والتهديد ووصف المعارك والحروب وفسى بيان الدعوة الإسلامية.

وآخر هذه المقاييس هو سمو العاطفة وهو مقياس أخلاقي، ويعنى به النقاد ما يثيره العمل الأدبي فينا من مشاعر تدفعنا إلى غايات نبيلة وأعمال نافعة وما يبعث فينا من الحماسة لننهض بواجباتنا.

والحق أن هذا المعيار يتوافر في شعر أبي بكر إلى حد بعيد فحسن - على سبيل المثال - حينما نقرأ شعر الدعوة عنده نحمس بحماسة شديدة إلى ضرورة التمسك بالأخلاق الفاضلة والقيم الدينية، وترانا مندفعين إلى الفضائل

(١) النقد الأدبي / أحمد أمين / ص ٤٩.

(٢) نقد الأدبي / أحمد أمين / ص ٤٩.

(٣) نظري: أسس النقد الأدبي ص ٥٠٦.

(٤) أصول النقد الأدبي / ص ١٨٢.

متجنبيين الرذائل، وحينما نقرأ شعر المديح النبوي نشعر بحب عميق للنبي ﷺ يدفعنا إلى اتخاذ - عليه السلام - القدوة الصالحة والأسوة الحسنة في حياتنا وأعمالنا.

رابعاً: الموسيقى

الموسيقى من أهم خصائص الشعر وهي مصدر الجمال فيه ومبعث الانسجام، ولا يمكن أن يكون هناك شعر بلا موسيقا، وقد تنبه نقادنا القدامى إلى ذلك ورأوا أن الوزن والقافية من أهم مظاهر التشكيل الموسيقي في الشعر بالإضافة إلى توالي المقاطع وتردها، وجرس الألفاظ ورنينها وتناسق العبارات وتوافق الحركات.

وتتمثل عناصر التشكيل الموسيقي في شعر أبي بكر في أمور أهمها ما يأتي:
أ- للوزن:

أشار النقاد العرب القدامى إلى أهمية الوزن إلى درجة أن ابن رشيق جعله "أعظم أركان حد الشعر وأولها به خصوصية"^(١). وقالوا إن للشعر الموزون إيقاعاً يطرب للفهم لصوابه وما يرد عليه من حسن تركيبه واعتدال أجزائه^(٢). وذكر قدامه للوزن نعوتاً ورأى أن هناك نعوتاً لعناصر الشعر الموثقة منها نعوت لاختلاف اللفظ والوزن ونعوت لاختلاف المعنى والوزن^(٣). وتتمثل أهمية الوزن أكثر في علم العروض الذي وضع أسسه الخليل بن أحمد. ومن ينظر إلى شعر أبي بكر يجده مضبوطاً في البحور الشعرية المعروفة، ولنا أن نقدم هنا إحصائية تكشف عن مدى استخدام أبي بكر لتلك البحور وهي على النحو التالي (وبلاحظ أنني رتبناها حسب عدد القصائد والمقطعات والفتب لاحتساب عدد الأبيات):

(١) العمدة/ ج ١/ ص ١٣٤.

(٢) عيار الشعر ص ٢١.

(٣) أنظر: نقد الشعر ص ٧٨، ١٦٥، ١٦٦.

عدد الأبيات	عدد القصائد والمقطوعات والنتف	البحر	
١٤١	٩	الطويل	
٥٧	٦	الرجز	
٧٠	٥	الوافر	
٣٧	٤	البسيط	
١٨	٣	الكامل	
٦	٣	الرمل	
٤١	٢	المنقارب	
٤٢	١	مجزوء الوافر	
٧	١	الخفيف	
٥	١	المديد	
١	١	مجزوء الكامل	
٤٢٥ بيتاً	٣٦ قصيدة ومقطعة ونتفه	١٠ ابحور	المجموع

ومن خلال هذه الإحصائية نلاحظ ما يأتي:

- أ- جاء ما يقرب من نصف الديوان مصبوحاً في بحرین هما الطویل والبسيط، وهما من البحور ذات التفعيلات الكثيرة التي تتسع لمعان غزيرة كثيرة؛ ولذلك نرى أن شعر التهديد والدعوة ووصف المعارك من هذين البحرین.
 - ب- لم تأت إلا قصيدة واحدة من مجزوءات البحور وبيت واحد (مفرد).
 - ج- جاء معظم شعر الرثاء من وزن الوافر والمنقارب والكامل.
- ومهما يكن من أمر فإن أول عنصر من عناصر التشكيل للموسيقى قد توافر تماماً في شعر أبي بكر، وخلا من أهم العيوب وهو التخلع.

ب- وأما القافية فهي النغم المتكرر في نهاية كل بيت، وهي تمثل مع الوزن أبرز عناصر الموسيقى في الشعر ولأهميتها جعلها ابن رشيق "شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر"^(١)، ورأى -كغيره من الفُقهاء- أن الشعر "لا يسمى شعرا حتى يكون له وزن وقافية"^(٢).

وقد التزم أبو بكر بالتقنية في جميع قصائده ومقطوعاته ونقته، وبذلك اكتمل أهم عنصرين من عناصر التشكيل الموسيقي بيد أن هناك بعض العيوب في القافية مثل التضمين وهو "أن تتعلق القافية أو لفظة مما قبلها بما بعدها"^(٣). ومثال ما وقع منه في شعر أبي بكر قوله:

لئن لم يفيقوا عاجلاً من ضلالهم ولست إذا آليت قولاً بحانث
لتبتدريهم غارة ذات مصدق تحرم أطهار النساء الطواميس^(٤)

ومن تلك العيوب التي وقعت في القافية عنده الابطاء وهو تكرير القوافي"^(٥). ومثال ما جاء من هذا العيب في شعر أبي بكر قوله:

نقيم بها إصعار من كان مائلاً ونسفي نحولاً عاجلاً غير رائث
فكنوا على خوف شديد وهيبية وأعجبهم أمر لهم أمر رائث^(٦)

(١) الممددة/ ج ١/ ص ١٥١.

(٢) الممددة/ ج ١/ ص ١٥١.

(٣) الممددة/ ج ١/ ص ١٧١ ويعرفه ابن عبد ربه بقوله "هو ألا تكون القافية مستغنية عن البيت الذي يليها" المقدم الفريد/ ج ١/ ص ٣٥٥/ ط ٢٢/ دار الكتب العلمية- بيروت سنة ١٩٨٧م.

(٤) الديوان/ ص ٢٣.

(٥) المقدم الفريد/ ج ١/ ص ٣٥٥.

(٦) الديوان/ ص ٢٥.

ومن هذه العيوب أيضا السناد "وهو اختلاف ما يراعى قبل الروى من الحروف والحركات"^(١). ومما جاء منه فى شعر أبى بكر قوله:

حمى نبي الهدى بالسيف منصلتا حتى إذا انكشفوا حامى عن الدين
صبرا على الطعن إذ ولت جماعتنا والفاش من بين محروم ومخبون^(٢).

وإلى جانب الوزن والقافية فهناك رنين لفظى آخر وجرس موسيقى تشج عن التصريح الذى غلب على معظم مطالع القصائد والمقطوعات وبالنظر فى الديوان نجد اثنتين وعشرين قصيدة ومقطعة قد جاءت مطالعها مصرعة من بين ستة وثلاثين قصيدة ومقطوعة وننفة وبيت مفرد.

خامساً: منهج القصيدة:

اتخذت القصيدة الجاهلية بناءً فنياً معروفاً فقد كانت تبدأ بإحدى المقدمات المعروفة (طللية، غزلية، خمرية) ثم ينتقل الشاعر بعد ذلك إلى وصف الرحلة والصحراء والحيوان حتى يصل إلى الغرض الرئيسى ثم ينهى قصيدته غالباً بشئ من الحكمة.

وظل الشعراء محافظين على هذا العمود الشعرى إلى أن جاء عصر صدر الإسلام الذى خرج فيه الشعراء على هذا التقليد ودلينا على ذلك ما بين أيدينا من شعر أبى بكر.

وقد توقف النقاد فى حديثهم عن بناء القصيدة عند أمور ثلاثة مهمة من: مطلع القصيدة، وحسن التخلص، وحسن الخاتمة.

(١) دراسات فى العروض والقافية/ د. عبد الله درويش/ ص ١٢٠ ط الرسالة (بدون)
أنظر ميزان الذهب فى صناعة شعر العرب/ السيد أحمد الهاشمى/ ص ١٢٦ ط المكتبة التجارية الكبرى (بدون).
(٢) الديوان/ ص ٢٨.

وعندما تكلموا عن مطلع القصيدة طلبوا بضرورة الاهتمام به لأنه مبدأ الكلام ورأوا أن يكون الشاعر بارع الاستهلال وذلك بأن يدل مطلع قصيدته على المعنى المقصود^(١). وأن ينبي عن موضوعها.

وباستقراء شعر أبي بكر نجد لدينا عشر قصائد بلا مقدمات تقليدية وإنما دخول مباشر إلى جوهر الموضوع ولبه، وفيها ينبي البيت الأول عن موضوعها مما يدلنا على براعة الاستهلال عنده، ومن ذلك قوله في رثاء النبي:
أجدك ما لعينيك لا تمام كأن جفونها فيها كلام^(٢).

ثم يسترسل بعد ذلك في الحديث عما تركت وفاة النبي في نفسه من ألم وحزن وفجيرة ومن ثم فإن هذه القصائد لم تحتج إلى ما يسمى بحسن التلخيص.
وأما القصائد التي بدأت بمقدمات تقليدية فهي ثمانى قصائد منها سبع بدأت بمقدمة طلبية وواحدة بدأت بمقدمة غزلية، ولكن من الملاحظ أن هذه المقدمات لم تطل فالمقدمة الغزلية عبارة عن بيت واحد ثم ينتقل إلى جوهر الموضوع إذ يقول:

أمن طيف سلمى بالبطاح اللاملث أرقت وأمر في العشييرة حانت
أرى من لؤى فرقة لا يصددها عن الكفر تكبير ولا بعث بلعث^(٣)

وأما المقدمات الطلبية فهي ما بين ثلاثة أبيات إلى سبعة وهي لا تمثل نسبة كبيرة داخل القصائد.

ومعنى ذلك أن أبا بكر قد أطاح كثيرا بالمقدمات التقليدية، ولكن وجود بعضها دليل على أن شعره قد طبع بشئ من الطوابع الفنية الجاهلية.

(١) انظر: المنل السائر/ ج-٢/ ص ٢٢٣.

(٢) نديون/ ص ٢٩.

(٣) نديون/ ص ٢١.

وأما حسين التخلص فلم يحتج إليه أبو بكر كثيراً ولكن عندما يلجأ إليه بسبب
المقدمة التقاليدية فإنه ينتقل إليه منسلاً لانسلا لا بدون أن نشعر معه بنقطة فجائية
وذلك كما نرى في قصيدته التي يمدح فيها رسول الله ﷺ ويقدم لها بمقدمة طللية
لا تزيد عن ثلاثة أبيات يقول بعدها:

ألا لبلغ الأكموم عنى ألية ألية بر صادق غير حانث
بأن رسول الله أحمد صادق لأرسله للرحمن أكرم وارث^(١)

وأشار النقاد في نهاية الأمر إلى ما يسمى بحسين الخاتمة أو براعة الخاتمة
ورأوا ضرورة أن يختم الشاعر قصيدته بأحسن الخواتيم وأن يدل على ما
يشعر بالانتهاء وأن يكون ذلك مستحسنًا عذبا لأنه آخر ما يطرق الأذن ويعلق
بالنفوس^(٢).

والحق أن هذا الأمر قد توافر في قصائد أبي بكر وخاصة القصائد
الطويلة فلقد ختمها بخاتمة حسنة كأن يصلى ويسلم على النبي أو يقدم حكمة أو
نصيحة ويشعرنا بذلك بنهاية قصيدته وهذا ما نراه على سبيل المثال في قوله:
كذلك الله يحمل كـ ل عبد مثل ما حملا^(٣)

وفي قوله:

وقلت عند منتهى الكلام
سبحان ربي وبه اعتصامي^(٤)

وفي قوله:

عليك سلام، كم نعتت ظمانا برى وكم اشبعنا من مغارث^(٥).

(١) الديوان / ص ٤٧

(٢) في النقد العربي / ص ٢٩٩.

(٣) الديوان / ص ٨٠.

(٤) الديوان / ص ٤٣.

(٥) الديوان / ص ٤٨. وانظر: ختام القصيدة ص ٦٢.

الخاتمة

اهتمت هذه الدراسة بشعر أبي بكر الصديق الصحابي الجليل صاحب
المكانة المعروفة التي لا تخفى على أحد.

وبصدور ديوانه مؤخرًا، وقيام هذه الدراسة لتكشف لنا منزلته الأديبة
فهو ينهض شاعراً إسلامياً لا يقل درجة عن شعراء صدر الإسلام المعروفين
أنداك أمثال عبد الله بن روثان وكعب بن مالك.

ويعد شعره إضافة جديدة إلى شعر صدر الإسلام، ودليلاً على أن
الإسلام لم يحارب الشعر والشعراء ولكنه عدل مسار الشعر إذ ليس في شعر
أبي بكر فخر مبالغ فيه ولا غزل فاضح ولا أسلوب فاحش بل تساق مع الدين
وتوافق مع مبادئه.

وقد كشفت هذه الدراسة عن تفوق أبي بكر في بعض الجوانب على عبد
الله بن رواحة وكعب بن مالك كما كشفت عن قدرته الشعرية فلقد تنوعت
أغراضه وتعددت موضوعاته ما بين قديمة ألفها الشعراء العرب وجديدة لم يكن
لهم بها سابق عهد مثل شعر الدعوة والوعظ وهذا أثر جلي من آثار الإسلام في
الشعر وحتى الأغراض القديمة عده نراها قد تطبعت بكثير من الطوابع
الإسلامية.

وعرضت الدراسة للنواحي الفنية في شعر أبي بكر: لغة وأسلوبها
وصورة وعاطفة وموسيقا وبناء فنياً.

وقد دللتنا على الأسلوب السهل البسيط الذي تميز به شعر أبي بكر وكان
متأثراً فيه إلى حد بعيد بالقرآن الكريم إلا في بعض المواطن والأغراض التي
جاء فيها أسلوباً فخماً جزلاً لأن الموقف أو الغرض قد تطلب منه ذلك.

ومن حيث الصورة فقد كثر عنده التشبيه الذي مال إليه الشاعر العربي
أنداك لأنه رأى فيه ما يعينه على نقل الواقع الحسي الذي يعيش فيه نقلاً أميناً.

وفى جانب العاطفة تميز شعر أبى بكر بقوة العاطفة وصدقها وسموها
وذلك لإيمانه الشديد بالدين وإخلاصه للإسلام والتزامه بمبادئه وحبّه للرسول ﷺ
حبا صادقا.

ودلتنا الدراسة على أن أبى بكر التزم -فى جانب الموسيقى الشعرية-
بالوزن الواحد والقافية الموحدة وبذلك لم يخرج عن أهم الخصائص الموسيقية
المعروفة فى الشعر العربى، وقد خلا شعره من عيوب الوزن، وأما القافية فقد
رصدت الدراسة بعض الهنات القليلة ولكنها لا تقدر أبداً فى شاعرية أبى بكر.
وأشارت الدراسة فى الحديث عن منهج القصيدة إلى أن أبى بكر قد أطلع
فى قصائد كثيرة بالمقدمات التقليدية ولم يحتج فيها إلى التخلص وأما قصائده
التي بدأت بإحدى المقدمات فقد احتلت هذه المقدمات نسبة قليلة فى القصيدة
وكان فيها حسن التخلص رائع الخواص.

ولعل هذه الدراسة تكون إضافة جديدة إلى دراسات أدب صدر الإسلام
وإسهامها فى الكشف عن أبى بكر شاعراً وتوضيحاً لمكانته الأدبية، واستجلاء
لقيمة شعره كما ذكرت فى المقدمة.

وبعد فإن كنت قد وفقت فهذا غاية ما أصبو إليه، وإن كسنت الأخرى
فحسبى أنتى اجتهدت.

ثبت بالمصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم
- ٢- استشفاف الشعر
د. يوسف نوفل/ ط لونغمان سنة ٢٠٠٠.
- ٣- أسس للنقد الأدبي
د. أحمد أحمد بدوي/ ط نهضة مصر (بدون).
- ٤- أصول للنقد الأدبي
أحمد الشايب/ ط الفاروقية سنة ١٩٤٠م.
- ٥- الإيضاح في علوم البلاغة
الخطيب القزويني/ ط صبيح سنة ١٩٦٦م.
- ٦- البديع
ابن المعتز/ ط ثلاثة/ المسيرة- بيروت سنة ١٩٨٢م.
- ٧- البديع في نقد الشعر
أسامة بن منقذ/ تحقيق د. أحمد أحمد بدوي، د. جامد
عبد المجيد/ ط البابي الحلبي سنة ١٩٦٠م.
- ٨- تحرير التحبير
ابن أبي الإصبع/ تحقيق د. حفني محمد شرف/ ط المجلس الأعلى للشئون
الإسلامية سنة ١٩٩٥م.
- ٩- التلخيص في علوم البلاغة
القزويني/ ضبط وشرح عبد الرحمن البرقوقي/ ط دار الكتاب العربي-
بيروت (بدون)
- ١٠- دراسات في العروض والقافية
د. عبد الله درويش/ ط الرسالة (بدون).
- ١١- دلائل الإعجاز

- عبد القاهر الجرجاني/ تصحيح وتعليق السيد محمد رشيد رضا- ط٦
صبيح سنة ١٩٦٠م.
- ١٢- ديوان أبي بكر الصديق
تحقيق وشرح/ راجي الأسمر/ ط١ دار صادر- بيروت سنة ١٩٩٧م.
- ١٣- ديوان حسان بن ثابت
تحقيق د. سيد حنفي حسنين/ ط دار المعارف سنة ١٩٨٢م.
- ١٤- ديوان عبد الله بن رواحة
تحقيق ودراسة: د. وليد قصاب/ ط٢ دار الضياء- عمان سنة ١٩٨٨م.
- ١٥- ديوان كعب بن مالك
تحقيق وشرح: مجيد طراد/ ط١ دار صادر- بيروت سنة ١٩٩٧م.
- ١٦- السيرة النبوية
ابن هشام/ تحقيق: مصطفى السقا وآخرين/ ط٢ البابي الحلبي سنة
١٩٥٥م.
- ١٧- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي
د. جابر عصفور/ ط دار المعارف- القاهرة سنة ١٩٧٣م.
- ١٨- الطراز
العلوي/ ط دار الكتب العلمية- بيروت سنة ١٩٨٢م.
- ١٩- العصر الجاهلي
د. شوقي ضيف/ ط٤ دار المعارف سنة ١٩٦٠م.
- ٢٠- العقد الفريد
ابن عبد ربه/ ط٣ دار الكتب العلمية- بيروت سنة ١٩٨٧م.
- ٢١- العمدة
ابن رشيق/ تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد/ ط٥ دار الجيل-
بيروت سنة ١٩٨١م.

- ٢٢- عيار الشعر
ابن طباطبا/ تحقيق د. عبد العزيز ناصر المساح/ ط دار العلوم-
الرياض سنة ١٩٨٥م.
- ٢٣- في النقد الأثني عند العرب
د. محمد طاهر درويش/ ط دار المعارف سنة ١٩٧٩م.
- ٢٤- مبادئ تحليل النصوص الأدبية
د. بسام بركة وآخرين/ ط لونجمان سنة ٢٠٠٢م.
- ٢٥- المثل المسائر
ابن الأثير/ تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد/ ط المصرية- بيروت
سنة ١٩٩٠م.
- ٢٦- ميزان الذهب في صناعة شعر العرب
الشيد أحمد الهانمي/ ط التجارية الكبرى (بدون)
- ٢٧- النقد الأثني
أحمد أمين/ ط ٤- دار الكتاب العربي- بيروت سنة ١٩٦٧م.
- ٢٨- نقد الشعر
قدامة بن جعفر/ تحقيق د محمد عبد المنعم خفاجي/ ط ١- الكليات
الأزهرية سنة ١٩٨٠.